مجلة
بينات
فصلية
تصدر عن
رابطة علماء المسلمين
رابطة علماء المسلمين
العدد (٥) ::: ذو القعدة ١٤٤١هـ ::: يوليو ٢٠٢٠م

■ الشيخ رشيد رضا ومجلة المنار.. ملحوظات منهجية

■ الاعتداء على ضريح الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

بينات

رؤيـــة المجلـــة:

تشـكيل وعي المسـلم في القضايا المعاصرة.

رسالـــة المجلـــة:

مجلـة تحقـق تأصيـل العلـوم الشرعيـة في المجـالات كافـة، وإعطـاء الرؤيـة الشرعيـة حول أوضـاع المسـلمين.

عـــن المجلـــة:

- هـي مجلـة دورية ربعيـة تصدر عـن (رابطـة علـماء المسـلمين)، وتهتـم بالقضايـا الشرعيـة والفكريـة والعلـوم الإنسـانية، ورصـد وتحليـل واسـتشراف مسـتقبل المسـلمين حـول العالم.

- مجلـة عالميـة تنتهـج منهج أهل السـنة والجماعة بعيداً عـن الغلو والتفريط.

- تخاطـب الدعـاة والعلـماء والمثقفـين والمفكريـن المهتمـين بنهضـة الأمـة وريادتهـا، وتحـث الهمـم وتحـرك القلـوب وتبعـث الطاقـات لمصلحـة الأمـة، وتحـرص عـلى بنـاء الأمـة عـلى العقيدة السـليمة والمنهج القويم ليفقـه واقعـه ويبنـي مواقفه على تأصيـل شرعـي قويـم.

bayyinatre@gmail.com

هيئـة التحرير

المشرف العـــام
الشيخ الدكتور محمد العبده

المستشـارون
د. حسن عباس
أ.د. حكمت الحريري
د. عادل الحمد
د. مراد القدسي
أ.د. محمد أمحزون
د. هشام برغش

سكرتير التحريـــر
م. محمد حسين

تصدر عن
رابطة علماء المسلمين

بينات

في هـــذا العـــدد

الشيخ رشيد رضا ومجلة المنار..
ملحوظات منهجية

موضوعات العدد

الافتتاحية

■ هل أيقظتنا (كورونا) من الغفلة
د. محمد عبد الكريم ٤

قضايا فكرية

■ التجديد في السلفية
د. محمد العبدة ٨

■ الشيخ رشيد رضا ومجلة المنار.. ملحوظات منهجية
د. محمد يسري إبراهيم ١٨

ملفات شرعية

■ لمحات في تفسير سورة القدر
أ. د. حكمت الحريري ٢٩

■ سبع حقائق لحل المشاكل الزوجية
د. عادل يوسف الحمد ٣٥

■ الاعتداء على ضريح الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز
عبد الله بن فيصل الأهدل ٤٠

■ موقع العقل وأهمية عمل القلب
أ. د. محمد أمحزون ٤٦

مكانة العلماء

■ ترجمة الشيخ محمد هاشم الهدية
الشيخ/ عماد بكري أبو حراز ٥٢

المسلمون حول العالم

■ أحداث أمريكا.. وكيف يمكن استخدامها لصالح المسلمين
محمد راشد دُنْدارْ ٦٠

■ بيان حول نبش قبر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله ٦٨

■ بيان حول إساءة شعية لبنان لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٧٠

رابطة علماء المسلمين

الرؤية:

تكوين مرجعية عالمية راشدة لإحياء دور العلماء في نهضة الأمة المسلمة.

الرسالة:

تجمع علمي منظم من علماء المسلمين يساهم في توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم؛ من خلال جمع طاقات العلماء، وتقديم حلول شرعية للقضايا المعاصرة وفق منهج أهل السنة والجماعة.

الأهداف:

(١) المساهمة في توحيد كلمة علماء الأمة وإبراز مكانتهم بين المسلمين.

(٢) استنباط الأحكام الشرعية للحوادث والنوازل وللقضايا المعاصرة، ورد الشبهات حول الإسلام ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفق منهج علمي وبيان ذلك للمسلمين.

(٣) كشف المخططات المعادية للإسلام والتصدي لها بشتى الوسائل المشروعة.

(٤) تحذير الأمة وحمايتها من المناهج والعقائد المنحرفة والتيارات الهدامة وبيان موقف الإسلام منها.

(٥) التواصل مع الهيئات الرسمية والمؤسسات العلمية والدعوية والإعلامية والخيرية فيما يحقق نهضة الأمة.

alimerdernegi@gmail.com

هل أيقظتنا (كورونا) من الغفلة؟

د. محمد عبد الكريم الشيخ

الحمد لله وحده، المحمود على كل حال، والصلاة والسلام على نبينا محمد وصحبه والآل.

أما بعد:

فلا يزال العالم أجمعه - والمسلمون منه -، يمر بظروف استثنائية بسبب جائحة كورونا، فلا صوتَ يعلو في البلاد فوق صوت العزلة والتباعد والحذر من المقربَة، حتى تقطعت بالناس السبل وأواصر المرحمة، وتبدَّت بين الأنام نُذر الفقر والمخمصة. ومع ذلك فإن أكثرهم ما يزالون على ما كانوا عليه في غفلتهم يسدرون، بل وبقي عتاة الجبابرة في طغيانهم يعمهون. هذا، ولو كانت الغفلة ممن بالله ربهم لايؤمنون، ولا إلى دينه الحق ينتسبون؛ لهان الأمر، ولجلَّ الخطب، ولكن يأسى الفؤاد على هذه الأمة من أهل الإسلام، ممن يرون زواجر العصيان أو يستمعون إلى مواعظ ونُذُر القرآن.

لقد بيَّن الله تعالى لنا في سنن الغابرين؛ الذين طالتهم سياط العقوبات، أن الكافرين لا ينفكون عن شِركهم وطغيانهم لمجرد نزول بوادر البأساء والضراء، بل هم في الغفلات حتى تحيط بهم فواجع المثُلات، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝١﴾[1]، وكما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا

(١) سورة الأنبياء:١.

بِهَا﴾[1]، وقال: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾[2].

أما المسلمون فشأنهم في عدم الاعتبار والاتعاظ بمثل هذه الجائحة هو المحزن والعجيب، لأنهم إذا كانوا أبعد عن الرجوع والأوبة عما هم فيه من غيٍّ وإعراض وفجور، فذلك أكثر استبعاداً عمن دونهم من كل مشركٍ ومسرفٍ وكَفورٍ.

فكثير من المعرضين لا يرعوون بمس الضر، ولا بغاشية من بؤس وضيق؛ كما حكى القرآن عن فرعون وملئه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾[3]، إلى أن شدد الله عليهم البلاء فقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[4].

فكل ذلكم من صنوف الأدواء؛ وتعدُّدِ أشكال البأساء والضراء؛ لم يكن ليردعهم عن عدوانهم وطغيانهم؛ حتى عاينوا العذاب الذي استأصل شأفتهم، وبهذا دعا كليم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾[5].

وحَقَّ على فرعون النكالُ الأعظمُ بالأخذ والبطش الشديد؛ فأعلن الإيمان ولكن بعد فوات الأوان؛ كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[6]، ومضت سنته في الكافرين من أمثالهم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾[7].

فأصبحت تلك سيرة الكافرين في الأولين والآخرين: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾[8].

فلا يُنتَظر من الكفار إيمانٌ جماعيٌّ بسبب أوبئة مثل (كورونا) أو غيرها إلا قليلاً منهم؛ وخاصة دون إرجاع منهم

(١) سورة الأنعام:٢٥.
(٢) سورة الإسراء:٦٠.
(٣) سورة الأعراف:١٣٠.
(٤) سورة الأعراف:١٣٣.
(٥) سورة يونس:٨٨.
(٦) سورة يونس:٩٠.
(٧) سورة غافر:٨٥.
(٨) سورة الكهف:٥٥.

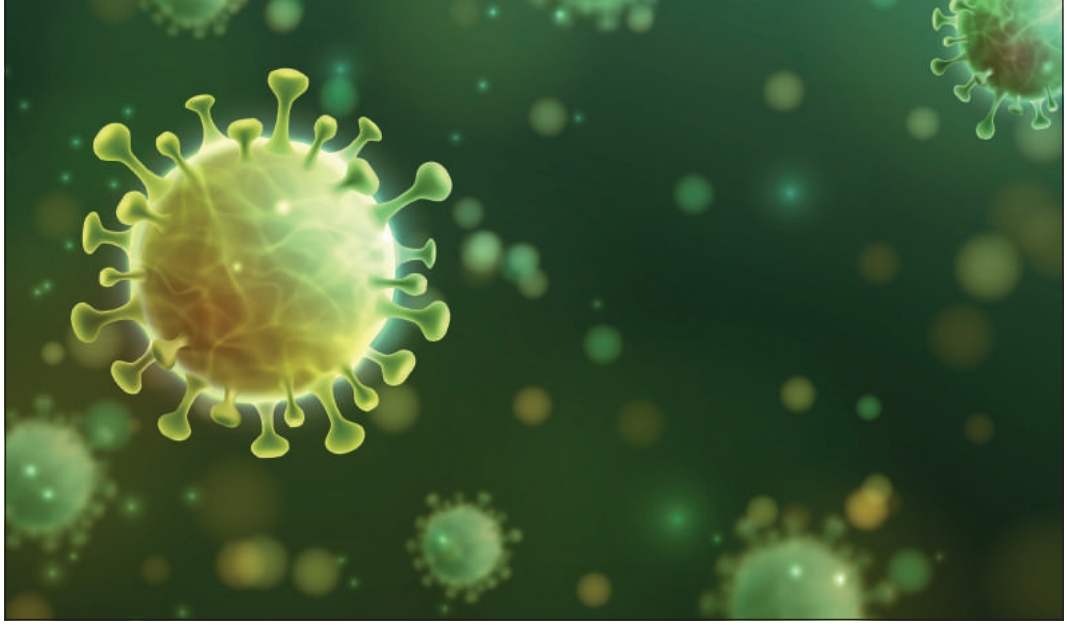

لِمَا نزل بهم إلى الله وحده والإيمان به، مما يتطلب وجود المنذرين من المرسلين أو أتباعهم. قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[1].

أما المسلمون فشأنهم في عدم الاعتبار والاتعاظ بمثل هذه الجائحة هو المحزن والعجيب، لأنهم إذا كانوا أبعد عن الرجوع والأوبة عما هم فيه من غيٍّ وإعراض وفجور، فذلك أكثر استبعاداً عمن دونهم من كل مشركٍ ومسرفٍ وكَفورٍ.

يا حسرة على المسلمين مع اختلاف أوطانهم، وتنوع أزماتهم ومشكلاته!!

إذ لم يُحدثوا توبةً تتبدل بها أعمالهم من السيئات إلى الحسنات؛ وتتغير بها أحوالهم من الشرك إلى التوحيد، ومن البغي والظلم، إلى القسط والعدل، ومن الضعف والفرقة والمخاصمة، إلى القوة والائتلاف والمرحمة... لم يحدث ذلك، بل رأينا أن السجون زادت في أوج بلاء (كورونا) من المصلحين والواعظين، بدلاً من الإفراج عن كافة من بُغِيَ عليهم من المظلومين، ولا يزال مسلسل المؤامرات بإشعال فتن العَلْمنة؛ وتقوية شوكة الممتنعين عن الشرائع مستعراً أواره، بل لا يكاد ينقضي عجب المرء اللبيب من سقوط بعض ذوي الجُبب والعمائم في سعيهم إلى التقارب مع أكابر المجرمين من الصهاينة الغاصبين؛ أو تزلف آخرين نحو أعتاب الرافضة الشانئين.

إننا بين يدي هذا العدد من (مجلة بينات)؛ نهيب بمن أكرمهم الله بوراثة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العلماء الصادقين؛ أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من البلاغ المبين؛ فقد آن الأوان لصرخة مدوية منهم في أودية الغفلة المقفرة من المنذرين، وتلك مسؤولية ذوي البصائر من أهل العلم والجد، فإنهم هم أولوا الأمر إذا وُتر الناس فيمن دونهم من أهل الحل والعقد.

لا يَصلُحُ الناسُ فَوضى لا سَراةَ لَهُم
وَلا سَراةَ إِذا جُهّالُهُم سادوا
تُلفى الأُمورُ بِأَهلِ الرُشدِ ما صَلَحَت
فَإِن تَوَلَّوا فَبِالأَشرارِ تَنقادُ

(١) سورة يونس:١٠١.

على العلماء والدعاة في سائر بلدانهم أن يقوموا بواجبهم في نصح الحكام والعامة، حيث لا مناص من الصدع بالحق لإيقاظ الخلق.

يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ يَا مِلْحَ الْبَلَدْ
مَا يُصْلِحُ الْمِلْحَ إِذَا الْمِلْحُ فَسَدْ؟

ولا يزال مسلسل المؤامرات بإشعال فتن العَلْمنة؛ وتقوية شوكة الممتنعين عن الشرائع مستعراً أواره، بل لا يكاد ينقضي عجب المرء اللبيب من سقوط بعض ذوي الجُبب والعمائم في سعيهم إلى التقارب مع أكابر المجرمين من الصهاينة الغاصبين؛ أو تزلف آخرين نحو أعتاب الرافضة الشائنين.

فإذا قصَّر العلماء عن القيام بواجب البيان؛ في ناحية من بلادٍ أو لم يوجدوا فيها؛ قام بذلك أي أحدٍ من عامة المسلمين؛ وقد مدح الله مثل هذا في القرآن أعظم المدح، كما في قول الله عَزَّوَجَلَّ عن صاحب يس: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾[1].

ولقد علَّمَ النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أصحابَه رِضوان اللهِ عليهم وأُمَّتَه مِن بَعدِهم ألَّا تَأخُذَهم في اللهِ لَومةُ لائِمٍ، ولا تَمنَعَهم هَيبةُ النَّاسِ أنْ يَقولوا الحَقَّ إذا شَهِدُوه أو عَلِموه، ولو كانَ صاحِبُ المُنكَرِ ذا وَجاهة، يقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((لا يمنعنَّ رجلاً هيبةُ الناسِ أن يقولَ بحقٍّ إذا رآه أو شهِدَه فإنه لا يقرِّبُ من أجلٍ ولا يباعِدُ من رزقٍ أو يقولَ بحقٍّ أو يُذكِّرَ بعظيمٍ))[2].

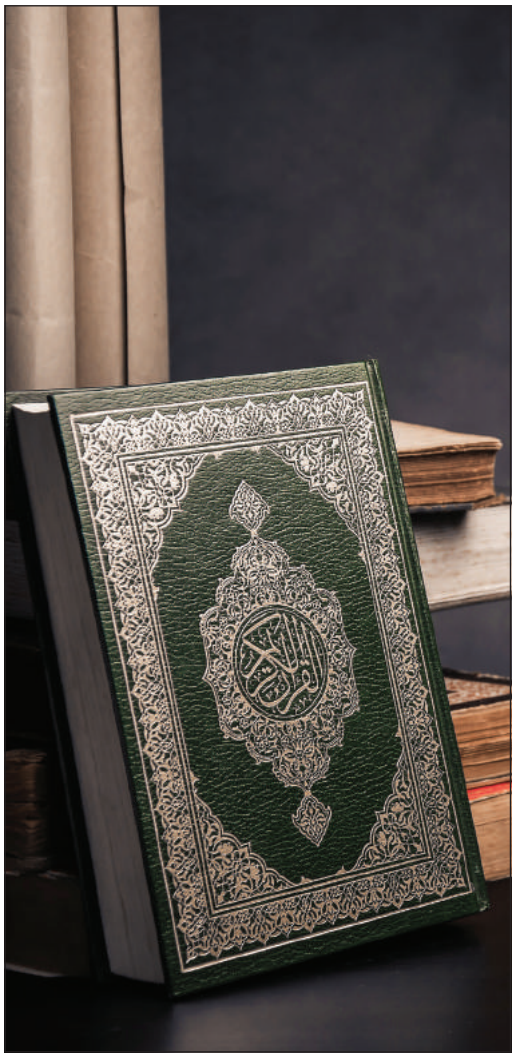

(١) سورة يس:٢٠.

(٢) رواه أحمد بسند صحيح.

التجديد في السلفية

د. محمد العبدة

ليس غريباً ذكر هذا المصطلح (السلف والسلفية) في حضارتنا وثقافتنا الإسلامية، والمقصود غالباً ما كان عليه أهل السنة والجماعة في القرون المفضلة في الاعتقاد خاصة والاتباع ومنهج النظر والاجتهاد، أي العودة إلى النبع الصافي قبل أن تكدره الروافد من هنا وهناك، يقول الإمام الشاطبي: «أهل الضلال يسبون السلف الصالح لَعلَّ بضاعتهم

تنفق، وأصل هذا الفساد من قبل الخوارج، فهم أول من لعن السلف الصالح»[1].

(١) الاعتصام: ١/ ١٢٠.

ويقول إمام الحرمين الجويني في رسالة إلى إمام المسلمين بشأن العقيدة: «الذي يحرص الإمام عليه جمع عامة الخلق على مذاهب السلف السابقين قبل أن نبغت الأهواء وزاغت الآراء، وكانوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ينهون عن التعرض للغوامض، وما كانوا ينكفّون عن عَيّ وقصر وتبلد في القرائح، هيهات قد كانوا أذكى الخلائق، ولكنهم استيقنوا أن اقتحام الشبهات داعية الغوايات وسبب الضلالات...»[2]، ويقول الإمام الذهبي عن ابن تيمية: «وقل أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها المذاهب الأربعة، وقد خالف الأربعة في

(٢) الغياثي: / ١٩١.

مسائل معروفة، ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية».

عن أي سلفية نتحدث؟

إذن المصطلح معروف، ولا أُريد في هذا المقال الحديث عن أصله وتاريخه، لأن العبرة بالمضمون والمسميات، وقد شاعت مصطلحات وأسماء مثل: الأنصار والمهاجرون، البدريون، أهل الحديث، أهل السنة والجماعة، وليست كلها بديلاً عن (الإسلام) المهم هو المضمون، كما لا أريد الحديث عما يكتب اليوم ويشاع عما يسمونه (سلفيات) ومدارس واختلاف، ولكن عن السلفية الملتزمة بمنهج أهل السنة، والذي أصَّله الصحابة ومن تبعهم إلى يومنا هذا، فعندما يقول أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنا متبع ولست بمبتدع»، فإن اتباعه كان تجديداً وذلك حين أصر على قتال المرتدين، وهذا من فقهه للسنة وكيف كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيعالج هذه المشكلة لو كان حياً، وهذا المنهج في فقه الكتاب والسنة هو الذي اجتهد فيه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأقام مؤسسات الدولة، وهو الذي فقهه الإمام مالك حين قال: «لا أحب علماً ليس تحته عمل»، وهو الذي من خلاله ضبط الإمام الشافعي مسألة الاجتهاد من الكتاب والسنة وأسس لعلم أصول الفقه.

إن فترة التأسيس الأولى هذه: الأئمة الأربعة، وكبار المحدثين والفقهاء وأهل الثقة من المفسرين وكُتَّاب سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتي كانت في القرون الثلاثة الهجرية هي التي أعطت الدفعة القوية لامتداد الحضارة الإسلامية.

السلفية ليست (حرفية) أو ظاهرية كما تُتهَم، ولا هي التي تعيش في الماضي، وهي عندما تركز على (التوحيد) فلأنه هو الشيء الثابت والمحرك الذي تبنى عليه كل الأمور الأخرى، وعليه يؤسس كل برنامج إصلاحي «ونقطة البدء في أي إصلاح هي تطهير العقائد من الشرك والأخلاق من الفساد» كما يقول الشيخ ابن باديس.

وهذه السلفية ليست (حرفية) أو ظاهرية كما تُتهَم، ولا هي التي تعيش في الماضي، وهي عندما تركز على (التوحيد) فلأنه هو الشيء الثابت والمحرك الذي تبنى عليه كل الأمور الأخرى، وعليه يؤسس كل برنامج إصلاحي «ونقطة البدء في أي إصلاح هي تطهير العقائد من الشرك والأخلاق من الفساد» كما يقول الشيخ ابن باديس.

والتوحيد هو الذي يحدد خصائص الأمة وصفاتها، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1].

السلفية هي التي تريد بقاء الدين نقياً بعيداً عن البدع التي أضافها المبتدعون فأثقلت كاهل المسلمين، مع أن خصيصة هذا الدين أنه دين يسر، وهي التي حفظت المسلمين من وثنية الأقطاب والأوتاد وتقديس ما يُسمى (الأولياء) ورفع الأشخاص فوق أقدارهم، وأبعدت الفكر الإسلامي الصحيح عن شطحات المجاذيب والتربية الذليلة للمريدين.

هذه السلفية هي التي تريد بقاء الدين نقياً بعيداً عن البدع التي أضافها المبتدعون فأثقلت كاهل المسلمين، مع أن خصيصة هذا الدين أنه دين يسر، وهي التي حفظت المسلمين من وثنية الأقطاب والأوتاد وتقديس ما يُسمى (الأولياء) ورفع الأشخاص فوق أقدارهم، وأبعدت الفكر الإسلامي الصحيح عن شطحات المجاذيب والتربية الذليلة للمريدين.

هذه السلفية هي التي وقفت في وجه علم الكلام الذي أخذ حيزاً كبيراً من طاقات المسلمين الفكرية دون طائل، وفي جدل عقيم لا يقيم ديناً ولا دنيا، وعلم الكلام هو «الذي زلزل أصول الإيمان الفطري والدليل الإقناعي، لأن أصحابه أرادوا تأييد الشريعة بالفلسفة أو بظاهر من الفلسفة، فوقعوا في خبط شديد»[2]، وأيضاً لأن أهل الكلام خاضوا فيما لا يدخل تحت سلطان الإدراك البشري، ولذلك عندما سئل الإمام مالك عن صفة الاستواء قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول».

كان الخطر الأكبر دائماً هو تردي الناس إلى أنواع من الشرك والارتكاس في حمأة الوثنية، وهذا ما وقع فيه الفلاسفة الذين يسمونهم (فلاسفة الإسلام) مثل ابن سينا والفارابي تقليداً لأساتذتهم اليونانيين، مثل (أرسطو) الذي يسمونه المعلم الأول[3].

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٢.

(٢) الطاهر بن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ / ١٨٤.

(٣) الإله عند أرسطو كامل لا عمل له ولا إرادة، يعقل ذاته، وعمله الوحيد هو التفكر، ولا يعلم الجزئيات! وكأن الكمال المطلق هو العدم المطلق! ومن هنا جاء نفي الصفات عند المعتزلة، وقد كفّر الإمام أبو حامد الغزالي هؤلاء الفلاسفة؛ لأنهم يعتقدون بقدم العالم، وأن البعث روحاني فقط، وأن الله لا يعلم الجزئيات.

إن الفارابي يعتقد أن الخلق تم دون قصد من الله سبحانه! ولكن فاض عنه (العقل الأول) كما يصدر الضوء من الشمس، وسبب هذا الفيض أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، والعقل الأول صدر عنه الثاني وهكذا إلى العاشر، الذي هو فلك القمر، وهو الواصل بين العالم العلوي والعالم السفلي! محض خرافة تدل على تدني تفكير هؤلاء بسبب انبهارهم بالفلسفة اليونانية.

وإذا كان علماء الكلام أرادوا تطويع الفلسفة لتنسجم مع الشريعة، فإن هؤلاء الفلاسفة - وكذلك ملاحدة المتصوفة - طوعوا الشريعة لتنسجم مع الفلسفة.

لقد وقعوا بهاوية سحيقة لا قرار لها، فقالوا بوحدة الوجود والاتحاد والحلول، ولذلك نقول: إن هذه السلفية تريد أيضاً إنقاذ الإنسان من الخرافات والأوهام واللامعقول، فالتوحيد الإسلامي ينفي كل ما يعيق مسيرة الإنسان نحو خالقه، وينفي كل ما يكبل عقل الإنسان عن انسجامه مع الفطرة الأصلية.

التجديد في السلفية:

هذه السلفية التي سارت على منهج أهل السنة كما أصَّله الفقهاء والمحدثون، جدَّده في العصور الأخيرة أمثال الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥-١٢٠٦هـ) في نجد، والشوكاني (١١٧٣-١٢٥٠هـ) في اليمن، والدهلوي (١١١٤-١١٧٦هـ) في الهند، ثم من جاء بعدهم في القرن الرابع عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) الذين تميزوا بعقيدة سليمة واهتمام بالتأصيل ومقاصد الشريعة والتركيز على تفسير القرآن وتدبره كابن باديس

(١٣٠٧-١٣٥٨هـ) ورشيد رضا (١٢٨٢-١٣٥٤هـ) والشنقيطي محمد الأمين (١٣٢٥-١٣٩٣هـ) والقاسمي (١٢٨٣-١٣٣٢هـ)، وغيرهم من العلماء والدعاة.

وعندما نتكلم عن التجديد اليوم فليس المقصود التجديد في المبدأ، في الدين، (ولذلك جاء في الحديث إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يُجدد لها دينها)، فلم يقُل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُجدد لها الدين)؛ لأن الدين بما اشتمل من عقائد وعبادات وأخلاق وشرائع ثابتٌ لا يقبل التغيير، أما (دينها) – أي: مدى تمسكها به – فهو القابل للتجديد حيث يطرأ عليه الانحراف والنسيان، فالتجديد في فقه هذا المبدأ وإعادة قراءة التراث الذي كتب حوله، ليعود الإسلام حياً واضحاً في أذهان المسلمين كما جاء في الحديث: ((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين))[1].

فهذا الدين ليس حقل اختبار، وكأننا كل يوم نأتي بجديد، ولكنه الرجوع إلى المنابع الأصلية.

التجديد يعني تحقيق التوازن بين الثابت والمتغير؛ حتى لا يفقد الدين حيويته وصلاحيته لكل زمان ومكان. والتجديد يكون من خلال (النص) المؤسس والذي هو قطب الرحى في الفقه والاجتهاد، وليس التهرب منه أو تأويله تأويلاً فاسداً، والتجديد يكون في الوسائل التي تؤدي إلى الغايات المطلوبة. وقد استعمل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القول والفعل والكتابة إلى الملوك وإرسال الرسل...

التجديد يبدأ بالاطلاع على القديم دراسةً وفهماً وليس التنصل منه، لماذا لا

(١) هو حديث مرسل، ضعفه بعض العلماء، وصححه الشيخ الألباني في تحقيقه لكتاب مشكاة المصابيح: ١/٥٣.

يُعاد قراءة ابن تيمية ليتحقق فهم أكبر ووعي أعمق لتلك التجربة في ذاك العصر؟ ولماذا شعر ابن تيمية بالخطر على الفكر الإسلامي وتصدى لكل التيارات المعادية لأهل السنة؟ كما نعيد قراءة ابن حزم والشاطبي وابن عبد السلام وابن الوزير...إلخ.

التجديد يعني تحقيق التوازن بين الثابت والمتغير؛ حتى لا يفقد الدين حيويته وصلاحيته لكل زمان ومكان. والتجديد يكون من خلال (النص) المؤسس والذي هو قطب الرحى في الفقه والاجتهاد، وليس التهرب منه أو تأويله تأويلاً فاسداً، والتجديد يكون في الوسائل التي تؤدي إلى الغايات المطلوبة.

إن دعائم منهج أهل السنة معروفة، ولكن أن نبحث اليوم عن مواقع القصور أو الغفلة عن أشياء أساسية، وكذلك ما طرأ من مستجدات تحتاج إلى إبداء الرأي فيها فهذا لا بد منه، والمراجعات شيء طبيعي بين كل فترة وأخرى.

بعض وسائل التجديد:

(١) من الملاحظ أن هناك ضعفاً في التركيز على توحيد الربوبية، وذلك بسبب التركيز الشديد على توحيد الألوهية، وإذا كان توحيد الألوهية والعبودية هو الغاية، ولكن إضعاف الوسيلة ربما يضعف الغاية.

إن التفكير والتأمل في الخلق وعظمة الخالق، وأسرار الكون وجماله، مما يزيد الإيمان والخشوع والانكسار أمام مبدع السموات والأرض، ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾[1]، والقراءة في آيات الآفاق والأنفس مثل قراءة آيات (الكتاب). والمسلم يجمع بين العلم بما أنزل الله والعلم بما خلق الله.

والآيات التي تتحدث عن الكون وعجائبه كثيرة جداً، وهي دعوة إلى توحيد الألوهية، مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾[2]، هذه الآيات توقظ الفكر وتدعو للنظر، وتكون النتيجة أن يصل الإنسان إلى أن لهذا العالم خالقاً يستحق العبودية الخالصة له. ووسائل هذه المعرفة بالخلق هي الحواس والعقل، ولذلك فهي معرفة يقينية لا شك فيها.

وقد ذكر النبي موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عجائب هذا الكون في حواره مع فرعون تأييداً للإيمان، ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾

(١) سورة الذاريات: ٢٠.
(٢) سورة ق: ٦.

قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾[2]، فهو قسم بعظمة الكون على عظمة الوحي، فآيات الربوبية تؤدي إلى الغاية المطلوبة وهي تحقيق العبودية لله.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٍ تَرَوۡنَهَا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾[3].

(٢) الاهتمام بعموم المسلمين ونشر العلم بين صفوفهم وبطرق سهلة واضحة، حتى يتكون للأمة مزاج عام تتقارب فيه الرؤى والأفهام، والوسائل والغايات، ويصير بين الناس قدر مشترك حتى لا يتخالفون على البدهيات؛ ذلك لأن الجهل يورث عادة العناد والمكابرة. كان العلم والخطاب مباح للجميع لجيل الصحابة رضوان الله عليهم، نعم كان فيهم العلماء الذين يسألهم الناس ولكن هناك قدر مشترك بين الجميع، والدليل رد المرأة على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسألة مهور النساء.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قبل أن نبني العش لا بد من الاهتمام بالغصن القوي، والغصن القوي هو المجتمع من الغادين والرائحين، في القرى والمدن من العاملين والمعلمين، نعرف مقاييسهم وندرك مدى قوة الغصن».

يقول الشيخ ابن باديس: «لا نجاة لنا في هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب الذي نذوقه ونقاسيه، إلا بالرجوع إلى القرآن إلى علمه وهديه وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه، وفي السنة النبوية شرحه وبيانه».

وفي تعريف العالم الرباني: «هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره».

ويُقال أن من أسباب نجاح مذهب (البروتستانتية) في أوروبا هو أن مصلحهم (لوثر) نزل إلى الناس وخاطبهم بلغتهم، وترجم الإنجيل إلى الألمانية ليقرأه عموم الناس في ألمانيا.

(١) سورة طه:٤٩-٥٣.
(٢) سورة التكوير:١٥-١٩.
(٣) سورة الرعد:٢.

(٣) اهتمت بعض الاتجاهات السلفية بعلم الحديث وهذا شيء مهم وضروري، خاصة عندما يكون الهدف هو تصفية حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الضعيف والموضوع، والعيش مع السنة المصدر الثاني للتلقي، ولكن الملاحظ أن هذا العمل أخذ حظاً أكثر من حظ مدارسة القرآن الكريم وتدبره والتعمق في فهمه وهو المصدر الأول.

يقول الشيخ ابن باديس: «لا نجاة لنا في هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب الذي نذوقه ونقاسيه، إلا بالرجوع إلى القرآن إلى علمه وهديه وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه، وفي السنة النبوية شرحه وبيانه»[1].

ومن الملاحظ أن كبار العلماء في العصر الحديث اهتموا بتفسير القرآن الكريم؛ لأن ذلك هو مفتاح الإصلاح ونهضة المسلمين، فالشيخ ابن باديس يستمر في تفسير القرآن لمدة خمس وعشرين سنة، وتحتفل الجزائر أسبوعاً كاملاً بختم هذا التفسير، وهكذا نجد هذا الاهتمام عند رشيد رضا وجمال الدين القاسمي ومحمد الأمين الشنقيطي وغيرهم.

ومن فقه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه شدد في التثبت من رواية الحديث، وقال للوفد الذاهب إلى العراق: «إنكم تأتون أهل

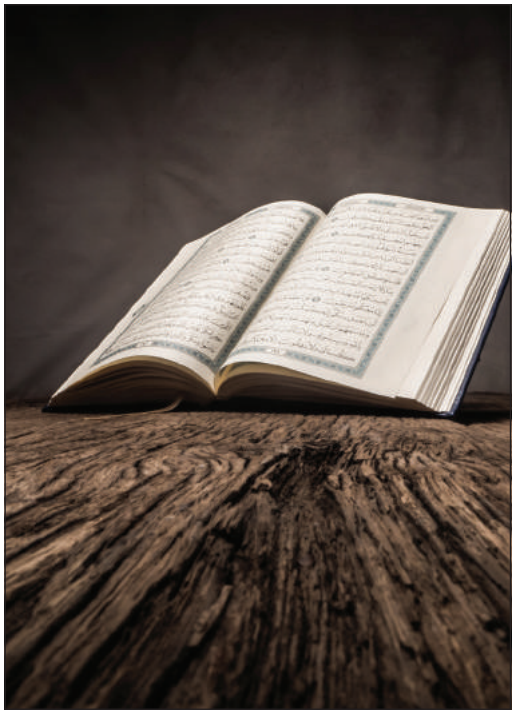

قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث».

وقصد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتأكد ويتثبت بالدرجة الأولى من حفظ هؤلاء للقرآن وفهم القرآن، وسبب تشدده لأنه كان يهتم بإدراك الراوي لحقيقة الحدث إدراكاً كاملاً، وليس فقط رواية الحديث دون معرفة ظروف القول ومناسبته وزمانه ومكانه.

(٤) لا بد من الربط بين العقيدة والأخلاق، وهكذا تنزلت الآيات والسور في صدر الفترة المكية، تتحدث عن التوحيد وعن الأخلاق.

ومن أهداف بعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزكية المدعوين، ﴿بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ

(١) تفسير ابن باديس / ٢٨٢.

أَحْمَدُ﴾[1]، والتزكية إصلاح القلوب والنوايا ومعالجة أمراض القلوب، وقد هيأ الله سبحانه لتبليغ رسالته أشرف المخلوقات نفساً وأخلاقاً.

هل يجب أن نخوض بعض المعارك التي خاضها الأوائل بسبب ظروفهم وزمانهم بينما طرأت اليوم مشكلات جديدة لا بد من مواجهتها وإيجاد الحلول المناسبة؟.

إن ضعف الأخلاق أدى إلى عطب أساسي في شخصية المسلم، وأدى إلى بروز النزعات الأنانية، وهذا انعكس على الإيمان؛ فأصبح الفرد يعيش بدين ولكنه غير مطبق من الناحية الأخلاقية، وبدُنيا فيها شرور كثيرة، ولذلك أصبحت الإرادات غير فعالة، وتباعد المبدأ النظري عن الواقع العملي، وهذا الذي ولَّد عند بعض الناس اليأس من الاستقامة الحقيقية كما يريدها الدين.

(٥) أعلنتها السلفية حرباً على التقليد المذموم، والذي أدى إلى الجمود وإلى التعصب المذهبي المفرّق للأمة، ودعت المسلم لأن يسأل عن الدليل، كما دعت العالِم الذي يسأله الناس أن يعلمهم السؤال عن الدليل، وهذا شيء لا غبار عليه، ولكن الثورة على التقليد لا تعني تجاوز فقه المذاهب الأربعة السُّنِّيَّة، فهذا الفقه بأصوله وفروعه ثروة عظيمة تفتخر بها الأمة الإسلامية، وهذا لا يعني العصمة لها، فالعصمةُ فقط لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن يُراجع الموسوعات الفقهية للمذاهب الأربعة فسيجد أحكاماً تفصيلية فيها حلولٌ لمشاكل الإنسان الصغيرة والكبيرة، والاجتهاد مفتوح لمن هو أهله، هذه الثروة الكبيرة فاجأت رجل القانون، يقول المستشار طارق البِشري: «كلما نظرت في كتب الفقه وجدت نفسي طالباً عند هؤلاء الفقهاء».

إن تجاوز المذاهب الأربعة التي راكمها مئات العلماء خلال العصور الإسلامية باجتهاداتهم، دون الاستفادة من تأصيلها وتفريعها في استنباط الأحكام أدى في العصر الحديث أن يتصدَّر للكلام في الدين والفتوى أُناسٌ حُدَثاء الأسنان، قرأوا نُتَفاً من العلم وظنوا أنهم أصبحوا علماء، وللشيخ عبد العزيز القارئ حفظه الله جهودٌ طيبة في تصحيح هذا المسار الذي وقع فيه البعض فكتب رسالةً صغيرة بعنوان: (برنامج عملي للمتفقهين: ثمان قواعد ضرورية لكل مشتغل بطلب العلم والتفقه في دين الله)، وله مقالاتٌ ضافية في (مجلة البيان) حول العلم والتعلم.

(١) سورة الجمعة:٢.

ثم مَن الذي يستطيع تجاهل الشافعي في (رسالته) وبقية الأئمة الأعلام؟

إن البعد عن تأصيل ما كتبه هؤلاء أدى بالبعض إلى الاهتمام بالفروع أكثر من الاهتمام بالأصول، وإلى تقديم الأمر التحسيني على الأمر الضروري، فهل الاهتمام بالهدي الظاهر مثل الاهتمام بدفع الظلم وإقامة العدل وتحرير المسلم من الاستعباد؟

(٦) لا يوجد مستقبل دون الرجوع إلى الماضي، هذا شيءٌ بديهيٌّ، وتراثنا - كما ذكرتُ سابقاً - زاخرٌ بالعطاء لمن أراد أن يُجدد في البناء ويستأنفَ نهضةً جديدة.

ولكنَّ هذا لا يعني الاستغراق في هذا الماضي هروباً من مشكلات الحاضر والمستقبل، وإذا كان الواقع مؤلماً فهذا لا يدعو إلى الهروب والعيش مع الكتب فقط أو تحقيق بعض كتب التراث وإن كانت قليلة النفع.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مهما كَثُرَت الكتب فإنها لا تُغني عن منهج الفهم السليم والاتصال المباشر بالأصول، ومن حُرِم الفهم لم تزده كثرة الكتب إلا حَيْرةً».

هل يجب أن نخوض بعض المعارك التي خاضها الأوائل بسبب ظروفهم وزمانهم بينما طرأت اليوم مشكلات جديدة لا بد من مواجهتها وإيجاد الحلول المناسبة؟

إنَّ السلفية بطبيعتها هي حركة تجدد واجتهاد، و(السلفية الإصلاحية) في العصر الحديث كانت مثالاً للفهم العميق لمقاصد الشريعة وروح العصر من أمثال: ابن باديس، ورشيد رضا، والآلوسي، ومحمد بن العربي المغربي، وقد كانت معالجتهم لأوضاع المسلمين شاملةً كل النواحي العَقَدية والسياسية والاجتماعية، اهتموا بنشر العلم ولهم نظراتٌ في القضايا المعاصرة، وهم منفتحون على ما عند الآخرين من علومٍ مفيدة وتقدمٍ حضاري.

إنَّ هذا المنهج مُستهدَفٌ من أعداء الإسلام، ذلك لأنهم يعلمون أنَّ العقيدة السليمة لها أثرٌ في تثبيت المجتمعات على الدين، وأنها هي التي تساعد على تكوُّن شخصية الأمة.

الشيخ رشيد رضا ومجلة المنار..

ملحوظات منهجية

د. محمد يسري إبراهيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على المبعوث بخير دين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنَّ الشيخ/ محمد رشيد رضا عَلَمٌ مِنْ أَعْلامِ الإصلاحِ، ورائدٌ من رواد التَّجديد، وأحد أقطاب المدرسة العقليَّة الحديثة في التفسير، له في الدعوة إلى الله جهود مشكورة، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسناتٌ مبرورة، وفي محاربة البِدَع والخرافة طريقةٌ مَحمودة، وفي إصلاح الأزهر مواقفُ مشهودة، وفي التأليف والكِتَابة مُصنَّفات مشهورة، وكانت له في السياسة مشاركات ومحاولات.

وُلِدَ في قرية القَلَمُون قرب طرابلس الشام بلبنان عام ١٢٨٢هـ، وتُوفِّي بالقاهرة عام ١٣٥٤هـ، ودُفِن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقرافة المُجَاورين بجوار أستاذه محمد عبده[١].

نشأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نشأة صوفية، تتلمذ فيها على أبي حامد الغزالي في (إحيائه)، وتَأَثَّرَ منذ نعومة أظفاره بأحد علماء الشام الأفذاذ؛ وهو الشيخ/ حسين الجسر، الذي أنشأ المدرسة التي فيها تخرج الشيخ رشيد رضا، وحصل على شهادتها العالية، والإجازة في التَّدريس.

ثم إنه اتصل بـ(الأفغاني) و(محمد

(١) رشيد رضا لإبراهيم العدوي، ص ٢٦٨.

عبده)؛ فنشأ نشأته الثانية: عَقلانيَّة إصلاحيَّة، بدأتْ عام ١٣١٥هـ، وفي هذه المرحلة أصدر مجلته (المنار)، وكثيراً من كتبه، وشرع في (تفسير المنار) وانتهى إلى الآية (١٠١) من سورة يوسف.

وأما المرحلة الأخيرة من حياة الشيخ رشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فتبدأ بوفاة شيخه محمد عبده، وتستمر حتى وفاته، منتحلاً مذهب السلف في الجُملة، ومتأثراً بالصوفيَّة والعقلانيَّة في قضايا عديدة.

أما الدليل على انتحاله مذهبَ السَّلف ومنهجَ أهل السُّنة والجماعة، فيتمثل في أمورٍ، منها:

مخالفته في قضايا عديدة لمنهج المدرسة العقليَّة التي نشأ عليها في التفسير وغيره، كما أفصح هو عن ذلك بنفسه[١]، ومن ذلك عنايتُه بكتب السَّلف، عقيدة ومنهجاً؛ حيث عُنِي بكتب ابن تيميَّة وابن القيم ومحمد بن عبد الوهَّاب وغيرهم؛ حتى اشتهر بذلك، وأسماه خصومُه بالوهَّابِي، ولعلَّ سبب هذه التسمية أيضاً أنه كتب مقالاتٍ عديدةً في الدفاع عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، منها مجموعة مقالات أسماها (الوهابيُّون والحجاز) شرح فيها دعوة الشيخ، وجَلَّى مبادئها وأهدافها، كما كتب كتاباً رَدَّ فيه على خصوم الدعوة من الشِّيعة والرافضة، أسماه (السُّنة والشيعة) أو (الوهابية والرافضة).

وأخيراً، فمِمَّا يؤكد سلفيَّة مرحلته الأخيرة:

أنه وقعت بَيْنَه وبين أتباع وتلامذة المدرسة العقليَّة الحديثةِ العداوةُ والوحشة؛ بسبب ما انتحاه الشيخ من مَنْحى السلفيَّة، مما أذكى نار العداوة بينهم على صحائف الصحف والمجلات[٢].

(١) انظر كلامه في صدر تفسيره المنار (١٦/١).

(٢) تُراجَع مجلة المنار (٩٢٥/١٥)، (٤٦٥/١٣).

وبحقٍّ فقد كانت عقيدة السيد رشيد رضا أصفى وأنقى في طورها الأخير، وأبعد عن نظرات الاعتزال ومسالك العقلانيين.

وكما كانت عقيدته أسلم فقد كان مسلكه أقوم، فلَم تُعرف له صلات مشبوهةً مع الإنجليز، بل إنه فضح مُخطَّطاتِهم، وشنَّع عليهم في مواضع عديدة من مقالاته، ولم يعرف أنه انتسب إلى الماسونية كما ثبت ذلك في حقِّ شيخيه (عبده) و(الأفغاني).

وكما كانت عقيدته أسلم فقد كان مسلكه أقوم، فلَم تُعرف له صلات مشبوهةً مع الإنجليز، بل إنه فضح مُخطَّطاتِهم، وشنَّع عليهم في مواضع عديدة من مقالاته، ولم يعرف أنه انتسب إلى الماسونية كما ثبت ذلك في حقِّ شيخيه (عبده) و(الأفغاني)[١] ، ولقد حُمِدَ له تصدِّيه لكتاب علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم)[٢]، ومحاربتُه لجمعية (الاتِّحاد والترقِّي) التي عملت على خلع السلطان (عبد الحميد الثاني) وتقويضِ الخلافة، ووصف (مصطفى كمال أتاتورك) بالإلحاد والمروق من الدين[٣]، وأصدر كتابه (الخلافة، أو الإمامة العظمى) يدعو فيه بشدة إلى إعادة الخلافة الإسلامية، وعقد مؤتمراً عام ١٣٤٣هـ للدعوة إلى هذا الأمر[٤].

(١) الإسلام والحضارة الغربية، محمَّد محمد حسين ص ٩٦.
(٢) مجلة المنار (٢٨ / ٢٤٠).
(٣) مجلة المنار (١٦/ ١٤٥).
(٤) رشيد رضا أو إخاء أربعين عاماً، شكيب أرسلان، ص ٣٥٢-٣٥٣.

هذا، وتُعَدُّ (مجلة المنار) التي أصدرها الشيخ بعد شهر واحد من مقدِمه إلى مصر أكبرَ مجلَّة إسلامية في العالم الإسلامي بأسْره، وأكثرها تداولاً، وأعظمها تأثيراً، وأبعدها صيتاً.

وصدر عددها الأول في ٢٢ من شوال عام ١٣١٥هـ، وكان الشيخ يكتب على صدرها: (مجلة شهرية، تبحث في فلسفة الدِّين وشؤون الاجتماع والعمران).

ولقد عُنيت المجلَّة بمحاورَ متعددةٍ، فلم تقتصر على الأمور الشرعيَّة والدينيَّة، بل أَفْرَدت مساحاتٍ للأدب والشِّعر والقصة، ونشرتْ مقالاتٍ عديدةً عن السُّنن الكونيَّة، والطِّب والصِّحة، ونقلتْ عن مجلاَّت أخرى عيونَ مقالاتِها وبحوثها الجيِّدة، ومن المشاركين في تحريرها نخبةٌ من الأعلام كـ (الرافعي)، و(المنفلوطي)، و(شكيب أرسلان)، و(محمد الخضر حسين)، وغيْرهم.

وأخذَت المجلة في حياة مؤسِّسها مكانتَها في قلوب الناس وعقولِهم، وامتدَّ أثَرُها إلى معظم أصقاع العالم الإسلامي، واستمرَّ صدورُها إلى وفاة مؤسِّسها في ١٣٥٤هـ، لتتوقف سبعة أشهر، وتعود على يد علاَّمة الشام الشيخ/ بهجت البيطار، ثم توقفتْ أخرى ليعود صدورُها على يد الشيخ/ حسن البنَّا، حيث أخرج منها ستة أعداد على مدى أربعة عشر شهراً لتتوقف عن الصدور نهائيّاً عام ١٣٥٩هـ /١٩٤٠م.

وبحقٍّ، فقد كانت المنارُ مناراً للإحياء والتجديد، والتربية والتعليم، وقد تصدَّت لقضايا الأُمَّة بعامَّة، وعُنِيت بإصلاح العقيدة، ومُحاربة البِدَع والخرافة، والاهتمام بشأن العلم المادِّي والتجريبِيِّ، والدعوة إلى إنْهاض الأمة في جميع المَجالات، ولقد كانت بصمات الشيخ/ رشيد رضا على المجلَّة واضحةً، فهو أكبر محرِّريها، وأكثر مَن كتَب فيها، بل

جلُّ مقالاتها تُنسَب إليه شخصيّاً، أو إلى المدرسة التي انتمى إليها في المرحلة الوسيطة من حياته.

> **وبحقٍّ، فقد كانت المنارُ مناراً للإحياء والتجديد، والتربية والتعليم، وقد تصدَّت لقضايا الأُمَّة بعامَّة، وعُنِيت بإصلاح العقيدة، ومُحاربة البِدَع والخرافة، والاهتمام بشأن العلم المادِّي والتجريبيِّ، والدعوة إلى إنْهاض الأمة في جميع المَجالات.**

وكما سبق التنبيه، فإنَّ موارد الشيخِ الصُّوفيةَ والعقلانية والسَّلفيةَ قد ظهرتْ وانعكست بوضوحٍ في كتاباته ومقالاته، وفيما يلي بعض الملاحظات الْمُهمة التي لا تخفى على الباحث المدقِّق، ويحتاج إليها عامَّة القراء والمهتمين بـ(مجلة المنار) من حيث هي ديوانُ فكْر للإصلاحيِّين، ونبضُ أُمَّةٍ في مرحلةٍ من الانكسار، وتأريخٌ لعددٍ من المساجلات العلميَّة والفكرية، ورصْدٌ لكثير من التحولات المنهجية.

أولاً: بعض المآخذ العقديَّة على ما ورد في (مجلة المنار):

(١) تأويل بعض الغيبيَّات:

ومن أمثلة ذلك مقالةٌ نشرَها الشيخ، يذهَبُ كاتبها إلى تأويل الميزان، وأنَّ المراد بالوزن هو القضاء العادل، وأن الكرسيَّ له معنًى مَجازيٌّ كالعظمة والسُّلطة، وأن النفخ في الصُّور كنايةٌ عن إعلان الأمر وإشهارِه، ونحو ذلك من التأويلات البعيدة للأمور المغيبة، والتي يتلخَّص موقف المسلم منها في الإيمان والإقرار بها، وإمرارها من غير تعرُّض لها بتأويلٍ معتسف، أو صرف للمعنى عن ظاهره المراد[١].

(٢) إنكار المهدي:

يقول الشيخ رشيد: «وجملة القول إننا لا نعتقد بهذا المهديِّ المنتظَر، ونقول بضرر الاعتقاد به»[٢]، ويعلِّل هذا الحكمَ بأنَّ الصحيحَيْن ليس فيهما ذِكْرٌ له، وأنَّ ابن خَلْدون أعلَّ الأحاديث التي فيها ذِكْرُه، وأن هذا المعتقد كان سبباً في نكبات تقع من أدعياء المهديَّة، وما يتبع ذلك من سفْكٍ للدِّماء، وإزهاقٍ للأرواح[٣].

ومِمَّا لا شك فيه عند أهل السنة أن أحاديث المهديِّ كثيرةٌ مُشتهرة، بل بلغتْ مبلغ التَّواتر عند بعض أهل العلم[٤]، فلا مجال إذاً لإنكارها أو إبطال دلالتها.

---

(١) المنار (٢٧/١/٥٥).
(٢) المنار (٧/٤/١٣٨).
(٣) المنار (٢٤/٨/٥٧٨)، (٣/٢٧/٦٦٠).
(٤) الحاوي للفتاوي، للسيوطي (٢/١٦٥-١٦٦)، المنار المنيف لابن القيِّم، ص ١٤٢.

(٣) التشكيك في الدَّجال:

يرى الشيخ رشيدٌ أن عقيدة الدجَّال مُنافية لحكمة إنذار الناس بِقُرب قيام الساعة وإثباتها بَغْتة، وأنَّ ما أُعطي الدجَّالُ من الفِتَنِ والخوارق يفوق أكبَر الآيات التي أُيِّد بها المرسلون، وأن أحاديث الدجال متعارضة ومضطربة، وأنَّها مصنوعة ومدسوسة من عمل اليهود[١].

ومعلومٌ أن الإيمان بدجَّال آخر الزمان هو جزءٌ من الإيمان بأمارات السَّاعة التي ثبتتْ بالصحيح المُسنَد من الأحاديث النبويَّة، وعليها انعقد إجْماعُ أهل السُّنة والجماعة، وقد نقَلَ تواتُرَ أحاديثِه الحافظُ ابن كثير[٢] والنوويُّ[٣] - عليهما رحمة الله -.

(١) تفسير المنار (٩/ ٤٥١).
(٢) الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ١٠٦).
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٨/ ٥٨).

(٤) إنكار كثيرٍ من المعجزات وتأويلُها:

يذهب بعيداً الشيخ رشيدٌ في إنكار المعجزات، ويَعُدُّ مجرد رواية القرآن لِمُعجزات الأنبياء السابقين سبباً لإعراض العلماء والعقلاء عن الدِّين الإسلاميِّ، ولولا روايةُ القرآن لتلك المعجزات لكان إقبال «أحرار الإفرنج» عليه أكثر، وأنَّ تلك المعجزات مثار شبهات، وتأويلات في روايتها وصحتها ودلالتها[٤].

ثم نرى الشيخ يدافع عن كتاب (حياة محمَّد) لِمحمد حسين هيكل، الذي جرَّد النبيَّ ﷺ من جميع المعجزات إلا القرآن الكريم، وينتصر له انتصاراً عظيماً.[٥]

وتارةً أخرى يُسْأَل في (المجلة) عن معراجه ﷺ فيذهب: إلى أنه رؤية مَناميَّة فحَسْب[٦].

(٤) تفسير المنار (١١/ ١٥٥)، الوحي المحمدي: ص ٦٢.
(٥) مجلة المنار (٣٤/ ١٠/ ٧٩٣).
(٦) مجلة المنار (١/ ٣٩/ ٧٧١)،

وأما معراجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء السابعة، فقال الطَّحاوي: «والمعراج حقٌّ، وقد أسري بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء».

وقد أكد هذا المعتقدَ الحافظُ ابن حجر في (الفتح) عن جماهير أهل السنة[1].

وعلى نفس المنوال نسج الشيخ رشيدٌ في معجزة انشقاق القمر الثابتة بالقرآن وأحاديث الصحيحيْن وغيْرِهما[2].

وقد قال ابن كثير في (تفسيره): «وقد كان هذا في زمان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة»[3].

وقال الشوكانِيُّ: «ومع هذا فقد نُقِل إلينا بطريق التَّواتُرِ، وهذا بمجرده يَدفع الاستبعاد، ويضرب به في وجه قائله»[4].

(٥) الانحراف في الإيمان بالملائكة والجن:

نقل الشيخ رضا كلام أستاذه الشيخ (عبده) في هذا الصدد، واستحسنه، ودافع عنه، وسوَّى بين الملائكة والجنِّ والميكروبات المسبِّبة للأمراض والعلل، واعتبرها جميعاً من جنس واحد، وأنَّ الجنَّ ورؤيته هو أمر تَخْييلي ليس بِحَقيقي، أقرب لِخرافات وأوهام العرب، وليس في الإمكان رؤيتهم إلاَّ على اعتبار أنهم من الميكروبات الدقيقة[5].

وكيف تَصِحُّ التسوية بين مخلوقات غير مكلَّفة ولا مُحاسَبةٍ في الآخرة، وبين الجنِّ المكلَّفين بالأمر والنهي، والمُحاسَبين في الآخرة، وبين الملائكة الذين هم لله طائعون، وبأمره يعملون؟!

ثانياً: بعض المآخذ الأصولية والمنهجيَّة:

(٦) الموقف من أحاديث الآحاد:

اضطرب موقف الشيخ رشيدٍ من أحاديث الآحاد وحُجيَّتِها، ومتى يُعمَل بها؟

فتارةً يرى أن بعضها يفيد العلم، وتارةً يراها مفيدةً للظَّن، وتارةً يَقْبلها في العمل بدون شرطٍ أو قَيْد، وتارةً يعلِّق ذلك على عدم معارضتها للعقل، أو على جريان العمل بِها من أهل القرون المفضَّلة، فأحاديث المعراج أحاديث آحادٍ فلا تُفيد اعتقاد ثبوت ذلك، وكذا أحاديث سِحْره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تفيد ثبوت تلك الواقعة، ولمعارضتها لِما هو أوثق لديه! وكذا الأحاديث الصحيحة المتَّفَق عليها في أن الشمس إذا غربتْ تَستأذن في السُّجود فيُؤْذَن لها، معارِضةٌ عنده للحِسِّ والعقل... وغير ذلك من المواقف المتشدِّدة من خبر الآحاد[6].

(٣٢/١٠/٧٣٥)، (٦/١٣/٥٥٠٦).
(١) فتح الباري لابن حجر (٧/١٩٧).
(٢) مجلة المنار (٣٠/٥/٣٦٣)، (٣٠/٤/٢٦٧-٢٦٨).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٩).
(٤) فتح القدير (٥/١٢٠).

(٥) تفسير المنار (٧/٥٢٦)، (٧/٣١٩).
(٦) تُراجَع مجلة المنار (٣٢/١٠/٧٨٥)،

اضطرب موقف الشيخ رشيدٍ من أحاديث الآحاد وحُجيَّتِها، ومتى يُعمَل بها؟ فتارةً يرى أن بعضها يفيد العلم، وتارةً يراها مفيدةً للظَّن، وتارةً يَقْبلها في العمل بدون شرطٍ أو قَيْد، وتارةً يعلِّق ذلك على عدم معارضتها للعقل، أو على جريان العمل بِها من أهل القرون المفضَّلة.

وقد وقف مثْلَ هذا الموقف وأشدَّ عندما أنكر حدَّ الرَّجم، فقال: «وجملة القول أنه لم يُرْوَ في هذا المقام حديثٌ صحيح السَّند، إلاَّ قولَ عمر في (الشَّيخ والشيخة إذا زنَيا)، وهو من رواية الآحاد؛ ولذلك خالف الخوارجُ وبعض المعتزلة في الرَّجم، ولَم يكفِّرهم أحدٌ بذلك، وأنَا لا أعتقد صحَّتَه، وإنْ رُوِي في الصحيحَيْن».

ولا شكَّ أن أهل السُّنة والجماعة على خلافٍ مع أهل البدع من المعتزلة وغيرهم في هذا الأمر.

وقال شيخ الإسلام: «السُّنة إذا ثبتتْ، فإنَّ المسلمين كلهم متَّفِقون على وجوب اتِّباعها».

(١٢/٩/٦٩٣)، (٣٢/١٠/٧٧٢)، (٦/١٣/٥٠٦)، (٣٤/١٠/٧٥٧).

يقول ابن حجر: «قد شاع فاشياً عمَلُ الصحابة والتابعين بِخَبَرِ الواحد من غير نكير، فاقتضى الاتِّفاق منهم على القبول».

ويقول ابن أبي العز: «خَبَرُ الواحد إذا تلقَّتْه الأُمَّةُ بالقبول، عملاً به، وتصديقاً له، يفيد العلم اليقينِيَّ عند جماهير الأُمَّة».

والصحيح الذي عليه أهل السُّنة: أنَّ خبَر الواحد تثبت به العقيدة، وما خالف هذا القولَ فمُحْدَث، لا يثبت عن واحدٍ من السَّلَف.

(٧) الموقف من العقل:

لا شك أنَّ مِن أكبر المآخذ على المدرسة العقليَّة الحديثة بعامَّة هو الموقِفَ المبالِغَ في تقديم العقل على النقل، وقد وقع بسبب هذا الأصل البِدْعِيِّ شيءٌ كثير من المخالفات والبدع، بدءاً من التحسين والتقبيح العقليَّيْن، إلى ما لا ينحصر من الجزئيات المخالفة.

وقد نقل الشيخ رشيدٌ عن شيخه (عبده) في المجلة مواضعَ كثيرة من هذا المعنى، وأيَّدَه في أجوبته وفتاواه ومواقِفه كثيراً، ومن ذلك نقْلُه عن (عبده): «اتفق أهل الملة الإسلامية - إلا قليلاً ممن لا يُنظَر إليه - على أنه إذا تعارض العقل والنَّقل أُخِذ بِما دلَّ عليه العقل، وبقي في النَّقل طريقان:

- طريق التسليم بصحَّة المنقول، مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، وتفويض الأمر إلى الله في علمه.

- والطريق الثانية: تأويل النَّقل، مع المُحافظة على قوانين اللُّغة؛ حتَّى يتَّفِق معناه مع ما أثبته العقل».

وقال: «وبِهذا الأصل الذي قام على الكتاب وصحيح السُّنة وعمل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهَّدت بين يدَيِ العقل كلَّ سبيل»[1] ا.هـ.

وهذا القول وأشباهه معلومٌ بُطلانه، والأصل المستقِرُّ عند أهل السُّنة أنَّ العقل الصريح لا يُخالِف النقل الصحيح، والعبْرة في المسائل الاعتقادية هي صحة الإسناد، وسلامته من العلل القادحة.

ولو كان الدين بالرأي لكان باطِنُ الخُفِّ أولى بالمسح من ظاهره، ولا شكَّ أن الإجماع المدَّعَى غير صحيح ولا مقبول.

(٨) الموقف من أهل الكتابين:

يقول الشيخ رشيدٌ في مقالة له بعنوان (شبهات المسيحيين على الإسلام، وشبهات التاريخ على اليهودية والنصرانيَّة) ما نصُّه: «.. كتبنا نبذةً مُعَنونةً بِهذا العنوان في الجزء الخامس، ذكَرْنا في فاتحتها أننا طلاَّبُ مودَّةٍ والْتئامٍ، لا عواملُ نزاعٍ وخصام، وأنَّنا لا نوَدُّ أن يطعن أحدٌ من المسلمين والنصارى في دين الآخَر»[2].

ولا شك أن المودَّة منهيٌّ عنها بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[3] الآية، فالمَحبَّة والمودَّة لأهل الإسلام، والعدل والقسط لأهل الأديان.

> **يَجدر بالذِّكر أن مورد الشيخ الصُّوفي جعله يُحسن الظنَّ بأمثال (ابن عربي)؛ فيذكره مادحاً ومثنياً، ثم لما غلب عليه مورده السَّلفيُّ انسحب من ذلك كلِّه، وردَّ عليه وبيَّن ضلاله، ونقل كلام الأئمَّة فيه.**

ويقول في موضع آخر: «وأما لفظ الكفر، فيُطْلَق في عُرْف الكتاب اليوم على الملاحدة... فمهما أطلقنا لقب (الكافر) أو اسم الكفر في كلامنا، فنريد به ما ذكَرْنا، ولا نطلقه على الْمُخالفين لنا في الدين من أصحاب المِلَل الأخرى؛ لأنَّهم ليسوا كُفَّاراً بهذا المعنى، بل نقول بعدم جواز إطلاقه عليهم شرعاً؛ لأنَّه صار في هذه الأيام من أقبح الشَّتائم، وأجرح سهامِ الامتهان، وذلك مما تَحْظره علينا الشريعة باتِّفاق علماء الإسلام»[4].

ولا يخفى على متأمِّلٍ ما في هذا من المخالفة لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ

(١) المنار (١٣/٨/٦١٣).
(٢) المنار (٤/١٠/٣٧٩).
(٣) سورة المجادلة:٢٢.
(٤) (١/١/١٤).

ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٍ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[2]، وغير ذلك من الآيات، وتحريم عدم إطلاقه شرعاً يحتاج إلى دليل، ونقل الاتِّفاق على ذلك مَحلُّ نظر.

(٩) موقفه من بعض الأشخاص:

يَجدر بالذِّكر أن مورد الشيخ الصُّوفي جعله يُحسن الظنَّ بأمثال (ابن عربي)؛ فيذكره مادحاً ومثنياً، ثم لما غلب عليه مورده السَّلفيُّ انسحب من ذلك كلِّه، وردَّ عليه وبيَّن ضلاله، ونقل كلام الأئمَّة فيه.

كما أنه أثنى على (ابن الفارض) ولقَّبه بألقابٍ لا تَجوز في حقِّه، فكان يقول: سيدنا، ورضي الله عنه، ورحمه الله، ونحو ذلك، وربَّما نقل بعض كلامه أو أشعاره.[3]

قال شيخ الإسلام:«ابن الفارض من متأخِّرة الاتِّحاديَّة، صاحب القصيدة التائيَّة المعروفة بـ(نَظْم السُّلوك)، وقد نظم فيها الاتِّحاد نظماً رائقَ اللفظ، فهو أخبث من لحم خنْزير في صينية من ذهب، وما أحسنَ تسميتَها نظْم الشُّكوك!»[4]، وقال الذهبي: «عمر بن الفارض يَنْعِق بالاتِّحاد تلويحاً وتصريحاً في شِعره، وهذه بَلِيَّة عظيمة»[5].

ولعل الشيخ رشيداً رجع عن هذا التعظيم في طوره الأخير.

(١) سورة المائدة:١٧.
(٢) سورة البقرة:١٠٥.

(٣) المنار (٢٧/١٠/٧٤٨)، (٢٦/٨/٦١٣).
(٤) المنار (١/٢٨/٥٢٤)، (١/٣٧/٧٢٢)، (١/٤٨/٩٢٣).
(٥) الفتاوى (٧٣١٤).

كما أورد ثناءً على (ابن سينا) وإشاراته في الحكمة العقليَّة وبيان جلالة قدْرِه؛ مِمَّا يدلُّ على أن هذا من أوضار العقلانيَّة المفرطة.

وقال شيخ الإسلام: «وإشارات ابن سينا يَعرف جمهورُ المسلمين الذين يعرفون دين الإسلام أنَّ فيها إلحاداً كثيراً»[1].

هذه الملاحظات - على كثرَتِها وتعدُّدِها وما ترتَّب عليها من آثارٍ في اتِّساع البَوْن بين المدرسة العقليَّة ومنهج أهل الحقِّ والاتباع - لا تَمنع باحثاً بصيراً، قادراً على التمييز بين الصواب والخطأ من الاستفادة من (المنار)، ومن آثار محرِّرها، والكمال لله وحده، والعِبْرة بكمال النهايات لا بنقص البدايات، وإنَّما الأعمال بالخواتيم.

وقد قال ابن حجر: «وقد اتَّفق العلماء على أنَّ (ابن سينا) كان يقول بِقِدَم العالَم، ونَفْي الْمَعاد الجسماني، فقطَعَ علماءُ زمانِه ومَن بَعْدَهم من الأئمَّة بِكُفره»[2].

(١) لسان الميزان (٢/٢٩٣).
(٢) منهاج السنة (٥/٤٣٣).

والظن بالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يكون قد رجع عن هذا التعظيم المقوت لابن سينا وأمثاله.

ومما يُؤخذ على الشيخ اشتدادُه على بعض الثِّقات وجَرْحهم، كـ(كعب الأحبار) ورَمْيه له بالزَّندقة، فيقول: «وقد حقَّقْنا من قبل أن (كعب الأحبار) من زنادقة اليهود»[3].

وقد ذكره أهل العلم في (الثِّقات) كابن حبان، وأثنى عليه بعض الصَّحابة كأبي الدرداء ومعاوية.

ومِثلُ (كعْبٍ) - عند الشيخ - (وهْبُ بنُ منبِّه)، وقد وثَّقه أيضاً كلٌّ من أبي زُرْعة والنَّسائي والذهبي وابن حبَّان، وأخرج له البخاريُّ ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

وأخيراً، فإن هذه الملاحظات - على كثرَتِها وتعدُّدِها وما ترتَّب عليها من آثارٍ في اتِّساع البَوْن بين المدرسة العقليَّة ومنهج أهل الحقِّ والاتباع - لا تَمنع باحثاً بصيراً، قادراً على التمييز بين الصواب والخطأ من الاستفادة من (المنار)، ومن آثار محرِّرها، والكمال لله وحده، والعِبْرة بكمال النهايات لا بنقص البدايات، وإنَّما الأعمال بالخواتيم.

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسْنَى وصفاته العُلَى مغفرةً لأهل التوحيد، ونَبْرأ إلى الله تعالى من البِدَع وأهلها، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين.

(٣) المنار (٢٨/١٠/٧٤٧).

لمحات في تفسير سورة القدر

أ. د. حكمت الحريري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فهذه لمحات وتبصرات في تفسير سورة القدر، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾[1].

الأولى: وجه الربط والتناسب بين سورة القدر والتي قبلها سورة العلق:

قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [سورة العلق:١-٥]، ثم ختمت بقوله: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾[2].

سورة العلق هي أول ما نزل على رسول الله ﷺ من الوحي، وأول ما نزل من الوحي الأمر بالقراءة، وليس كل قراءة، بل اقرأ باسم ربك الذي خلق، والأمر بقراءة القرآن العظيم لأنه أشرف العلوم، وأعظم معجزة لرسول الله ﷺ، وبهذه السورة كان ابتداء الوحي، فتلاوة كتاب الله وتدبر آياته من أعظم أسباب السعادة والهداية، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[3].

(١) سورة القدر: ١-٥.

(٢) سورة العلق.

(٣) سورة الإسراء: ٩.

هذا الكتاب الحكيم الذي هو أشرف العلوم وأجلها وأرفعها لمن علمه وعمل به.

أنزله الله في أشرف ليلة من ليالي السنة وأفضلها.

الثانية:

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾:

فيها تعظيم شأن القرآن الكريم، واستغنى عن تسميته باستعمال الضمير في ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ لشهرته. واختار لإنزاله أفضل الأوقات والشهور شهر رمضان في ليلة من لياليه، وهي أفضل ليلة في السنة كلها، ليلة القدر. أسند إنزال القرآن إلى نفسه سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾.

الثالثة: في كيفية إنزال القرآن في ليلة القدر:

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً حسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

والمعنى الآخر لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ أي كان ابتداء إنزاله في ليلة القدر.

الرابعة: لماذا سميت ليلة القدر؟

سميت تلك الليلة المباركة بليلة القدر لعظيم قدرها وفضلها عند الله تعالى، والقدر يأتي بمعنى الشرف. وقد عظم قدرها وفضلها عند الله عَزَّوَجَلَّ، لأن فيها تقدر الأمور التي تكون للعباد في السنة.

(١) تفسير ابن كثير.

يقدر فيها ما يكون في السنة، من أجل ورزق، وموت وحياة، وولادة وصحة ومرض، وخصب وجدب، وحج وسفر وزواج، وغير ذلك مما يحصل للعباد في جميع أيام السنة من أمور وأحوال.

يقدر الله سبحانه في تلك الليلة أمر السنة في بلاده وعباده إلى السنة القابلة.

يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة، من أجل ورزق، وموت وحياة، وولادة وصحة ومرض، وخصب وجدب، وحج وسفر وزواج، وغير ذلك مما يحصل للعباد في جميع أيام السنة من أمور وأحوال.

الخامسة: مراتب الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر أحد أهم أركان الإيمان، إن فهم مراتب القدر يعين على فهم فضل ليلة القدر وثواب من وفقه الله لقيام تلك الليلة المباركة.

الإيمان بالقدر على أربع مراتب[2]:

- الأولى: الإيمان بعلم الله، المحيط بكل شيء الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

(٢) بتصرف من أعلام السنة المنشورة، ص١٤٧-١٦٠.

■ الثانية: الإيمان بكتابة ذلك، وأنه تعالى قد كتب جميع ما سبق به علمه أنه كائن، ومن ضمن ذلك الإيمان باللوح والقلم.

■ الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته النافذة الشاملة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

■ الرابعة: الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه ما من ذرة في السماوات والأرض وما بينهما إلا والله خالقها.

ومما يتعلق بالحديث عن ليلة القدر الكلام في كتابة المقادير، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾[1]، وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾[2].

فيدخل في كتابة المقادير خمسة من التقادير، كلها ترجع إلى العلم، أي علم الله:

■ **التقدير الأول:** التقدير الأزلي:

كتب ذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة عندما خلق الله القلم، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾[3].

وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)) قال: ((وعرشه على الماء))، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((أولُ ما خلق اللهُ القلمُ فقال له: اكتبْ فقال: ربِّ وما أكتبُ؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعةِ))[4].

■ **التقدير الثاني:** التقدير العمري يوم الميثاق:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ﴾[5]، ذكر الإمام مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سئل عن

(١) سورة يس: ١٢.
(٢) سورة فاطر: ١١.
(٣) سورة الحديد: ٢٢.
(٤) رواه الترمذي وأبو داوود أحمد في المسند.
(٥) سورة الأعراف: ١٧٢.

هذه الآية فقال: «سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسأل عنها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون))»[1]. وغيره من الأحاديث.

■ **التقدير الثالث:** التقدير العمري الذي عند أول تخليق النطفة:

قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾[2].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلماتٍ: بكَتْبِ رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيدٌ، فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها))[3].

■ **التقدير الرابع:** التقدير الحولي في ليلة القدر:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾[4].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت أو حياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان»..

■ **التقدير الخامس:** التقدير اليومي:

قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[5].

ففي مستدرك الحاكم قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن مما خلق الله تعالى لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة،

(١) الموطأ، باب النهي عن القول في القدر.
(٢) سورة النجم: ٣٢.
(٣) البخاري ومسلم، كتاب القدر.
(٤) سورة الدخان: ٣-٥.
(٥) سورة الرحمن: ٢٩.

ففي كل نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾»[1].

السادسة: ليلة القدر خير من ألف شهر:

أي من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر، أي أن قيام تلك الليلة تعدل ألف شهر، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

يكثر نزول الملائكة في ليلة القدر لكثرة البركة فيها، والملائكة يتنزلون مع تنزيل البركة والرحمة، كتنزلهم عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له.

روى ابن جرير بإسناده عن مجاهد قال: «كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾، يعني أن قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل.

السابعة: كثرة نزول الملائكة في ليلة القدر:

دل قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ على كثرة نزول الملائكة في ليلة القدر لكثرة البركة فيها، والملائكة يتنزلون مع تنزيل البركة والرحمة، كتنزلهم عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له.

قوله ﴿وَالرُّوحُ﴾ قيل المراد بها هنا جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيكون من باب عطف الخاص على العام.

﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ أي من أجل كل أمر يقضي الله تعالى في ذلك العام إلى العام القابل، وقال ابن جزي في التسهيل: «فإنه روي أن الله يعلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك ليمتثلوا ذلك في العام كله».

الثامنة: (سلام) أي بمعنى السلام:

يعني هي خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر، وقيل إنه من التحية؛ لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها. واختلف أهل العلم: هل يوقف عند قوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾؟ أم عند قوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ﴾؟ اختلاف الوقف باختلاف الإعراب، فبعضهم قال في إعرابها: ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ مبتدأ وخبر، وقال آخرون ﴿سَلَامٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمرها سلام، و﴿هِيَ﴾ مبتدأ خبره ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾، أي: دائمة إلى طلوع الفجر.

(١) رواه جرير عن عبد الله موقوفاً.

التاسعة: لماذا أبهمها في العشر الأخير من رمضان؟

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى))؛ ففسره كثيرون بليالي الأوتار.

وعلة إبهامها في العشر الأواخر لكي يجتهدوا في إدراكها، ولا يتكلوا على فضلها لو حددت في ليلة معلومة ويقصروا في غيرها، شبيه بذلك عندما أخفى ساعة الإجابة يوم الجمعة، والصلاة الوسطى في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾[1]، واسم الله الأعظم، ورضاه في سائر الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وقيام الساعة في أي الأوقات ليجتهدوا في كل لحظة حذراً من قيامها.

والسر في ذلك أن النفيس لا يوصل إليه إلا باجتهاد عظيم؛ إظهاراً لنفاسته، وإعظاماً للرغبة فيه وإيذاناً بالسرور به[2].

العاشرة: في ذكر أحاديث تتعلق بفضل ليلة القدر:

(١) في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)).

■ معنى ((إيماناً)): أي تصديقاً بأنه حق معتقداً فضيلته.

■ ومعنى ((احتساباً)): أن يريد به وجه الله تعالى لا يقصد الرياء ولا غير ذلك مما ينافي الإخلاص.

(٢) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله».

■ «شد مئزره»: أي اعتزل النساء.

■ «أحيا ليله»: أي سهره فأحياه بالطاعة من صلاة وذكر وقراءة قرآن ودعاء.

■ «أيقظ أهله»: ليشاركنه في اغتنام الخير والذكر والعبادة في الأوقات المباركة، فمن السنة أن يوقظ الرجل أهله وأولاده للذكر والدعاء والقيام في تلك الليلة.

(٣) أن يكثر في تلك الليلة من الدعاء بقوله: ((اللهم إنك عفوٌ كريم تحب العفو فاعف عني))، كذا جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما سألت عما تدعو به في ليلة القدر.

اللهم اجعلنا ممن صام رمضان إيماناً واحتساباً. واجعلنا ممن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً. اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٨.
(٢) نظم الدرر، لبرهان الدين البقاعي.

سبع حقائق لحل المشاكل الزوجية

د. عادل يوسف الحمد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فالحياة الزوجية نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ على عباده، والسعيد من رزق هذه النعمة وأحسن الاستفادة منها بما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ. ولكن الحياة الزوجية ليست أحلاماً وردية لا تعتريها المنغصات؛ إذ السعادة الحقيقية الدائمة لا تكون إلا في الآخرة، أما الدنيا فلا يتصور أن يكون فيها بيت يخلو من المشاكل، ولنا في بيوت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأحواله مع زوجاته أسوة حسنة، ولا يخفى على كل مطلع على السيرة النبوية المشاكل التي وقعت بين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبين زوجاته.

وإذا كان الأمر كذلك، فالمشاكل التي تقع بين الزوجين أمر طبيعي إذا كان في حدوده الطبيعية، وهي كالملح في الطعام، بدونه لا يتذوق الطعام، وبكثرته لا يستساغ.

ثم إن علاج هذه المشاكل مهما كبرت ليس بالأمر المستحيل؛ يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾[1] . نعم قد يحدث الله أمر لم يكن في الحسبان، وتنقلب العداوة والطلاق إلى محبة ووئام، فلا تيأسوا من رحمة الله.

(١) سورة الطلاق:١.

وعلاج المشاكل الزوجية يحتاج إلى صدق النية من الزوجين، لقوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾[1]، فإذا كانت هناك رغبة صادقة في الإصلاح من الطرفين، وفق الله بينهما، وسدد خطاهما؛ لأن الله يحب الصلح بين الزوجين، وهو القائل: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾[2]. وعلامة صدق الزوجين سعي كل واحد منهما لحل المشكلة من طرفه، والتنازل عن بعض حقه لكسب الطرف الآخر.

وهذه سبع حقائق أُوصي بها نفسي وإخواني وأخواتي لمن أراد فعلاً أن يعالج مشاكله الزوجية، أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بها:

■ **الحقيقة الأولى:** أن السعادة مطلب الزوجين في حياتهما الزوجية، وهدف منشود لهما، ولكن السعادة في الحياة الزوجية لا تعني خلوها من المشاكل. وهذه الحقيقة تستلزم من كل طرف ألا يضخم حجم المشكلة عند وقوعها، وألا ييأس من رحمة الله في تغييرها وإصلاحها.

■ **الحقيقة الثانية:** أن السبب الرئيس للمشاكل بين الزوجين هو وقوع أحدهما أو كليهما في الذنوب؛ لقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ((والَّذي نفْسُ محمَّدٍ بيَدِه، ما تَوادَّ اثنانِ ففُرِّقَ بيْنَهُما، إلَّا بذَنْبٍ يُحْدِثُه أحَدُهُما))[3].

وهذا يعني أن علاج المشاكل يبدأ بالاستغفار والتوبة من الذنوب كلها.

والذنب قد يكون اقتحاماً لمحرم، وقد يكون إحجاماً أو تقصيراً في واجب.

وهذا يستلزم من كلا الزوجين أن يصلح ما بينه وبين الله، ليصلح الله أحواله، وهو الحقيقة الثالثة.

فمن أراد من الزوجين الإصلاح بصدق فليبدأ بتغيير نفسه قبل أن يطالب الطرف الآخر بالتغيير. ولا يحصل هذا إلا بمحاسبة النفس ومراجعتها في مواقفها والصدق معها ومع الله.

■ **الحقيقة الثالثة:** أن التغيير يبدأ من النفس قبل مطالبة الطرف الآخر بالتغيير، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[4].

فمن أراد من الزوجين الإصلاح بصدق فليبدأ بتغيير نفسه قبل أن يطالب الطرف الآخر بالتغيير. ولا يحصل هذا إلا

(١) سورة النساء:٣٥.
(٢) سورة النساء:١٢٨.
(٣) رواه أحمد.
(٤) سورة الرعد:١١.

بمحاسبة النفس ومراجعتها في مواقفها والصدق معها ومع الله.

وتطبيق هذه الحقيقة يستلزم الحقيقة الرابعة والتي لا تنفك عنها وهي:

■ **الحقيقة الرابعة:** في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾[1] ، وتعني أن قواعد التعامل بين الزوجين مبنية على ابتغاء الأجر والثواب والرضى من الله وحده لا من الطرف الآخر.

وهذا من أسمى أنواع التعامل بين الزوجين، بل بين الناس جميعاً، أن يعامل الإنسان الناس أو الزوج أو الزوجة ولا ينتظر منهم أن يقدروا مواقفه وأعماله بل لا يلتفت لذلك.

وهذه الحقيقة تستلزم الانتباه لحقيقة خامسة من أخطر الحقائق في إفساد العلاقات الزوجية وهي:

■ **الحقيقة الخامسة:** المن والأذى يفسد الحياة الزوجية، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٦٤﴾[2].

المن والأذى في القول من الأمور الشائعة بين الزوجين؛ يقول الزوج لزوجته: فعلت لك كذا وكذا! وهي تقول له: وأنا فعلت لك كذا وكذا! كلاهما يقولها على سبيل المن، ويغفلان عن أن هذا من الحقوق الواجبة بينهما، والتقصير فيها ذنب يعاقب عليه المقصر قد يصل إلى الحرمان من دخول الجنة.

■ **الحقيقة السادسة:** أن أفضل طرق جذب قلب الزوج أو الزوجة هو

(١) سورة الإنسان:٩.

(٢) سورة البقرة:٢٦٤.

التطبيق والامتثال لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[1].

وقد احتوت هذه الآيات على ثلاثة أمور رئيسة:

■ أولها: دفع تصرفات الطرف الآخر ومواقفه السيئة بأفضل طرق الإحسان لكسب قلبه.

■ ثانيها: الصبر على تطبيق الدفع بإحسان؛ لأن كسب القلوب يحتاج إلى وقت طويل خاصة إذا تغيرت بعد صفاء ومحبة، فرجوعها يحتاج إلى صبر طويل.

■ ثالثها - وهو الأخطر -: دفع نزغات الشيطان بالاستعاذة بالله. ونزغات الشيطان هي ما يقذفه الشيطان في قلب الزوج أو الزوجة من سوء الظن بالطرف الآخر، وحمل كل تصرف منه على أسوأ المحامل.

أمر الله رسوله بلين الجانب لأصحابه، ونهاه عن الغلظة والفظاظة. والزوجان أولى بهذه الوصية في التعامل بينهما.

(١) سورة فصلت:٣٤-٣٦.

ومن لم يمتثل لهذه الآية من الزوجين فلن يكون الإصلاح على يديه، بل قد يكون عدم الامتثال لهذه الآية هو الذنب الذي يفرق بينهما.

ومن الدفع بالتي هي أحسن تطبيق ما يلي:

■ **الحقيقة السابعة:** وصية الله لنبيه في كسب قلوب أصحابه واجتماع شملهم، ونحن أولى بها، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[2].

وقد اشتملت الآية على عدة توصيات:

■ الوصية الأولى: أمر الله رسوله بلين الجانب لأصحابه، ونهاه عن الغلظة والفظاظة. والزوجان أولى بهذه الوصية في التعامل بينهما.

(٢) سورة آل عمران:١٥٩.

العفو عن الزلات لا يصدر إلا من الكرماء أصحاب القلوب الكبيرة، الذين يرجون ما عند الله، ويثقون بموعود الله في عاقبة العافين عن الناس، الراجين لنيل مرتبة الإحسان، وإني لأرجو أن تكون هذه الخصلة الجميلة عند كل زوجين.

■ الوصية الثانية: العفو عن زلات الأصحاب. وهذا لا يصدر إلا من الكرماء أصحاب القلوب الكبيرة، الذين يرجون ما عند الله، ويثقون بموعود الله في عاقبة العافين عن الناس، الراجين لنيل مرتبة الإحسان، وإني لأرجو أن تكون هذه الخصلة الجميلة عند كل زوجين.

■ الوصية الثالثة: الاستغفار للأصحاب. وإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمر بذلك مع أصحابه وهم خير القرون، فالزوجان من باب أولى، فكل واحد منهما يستغفر لزوجه بظهر الغيب ويدعو له بخير. وهذا لا يصدر إلا إذا امتلأ القلب بالمحبة للطرف الآخر وخلا من الضغينة.

الوصية الرابعة: أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يشاور أصحابه، مع أنه مؤيد بالوحي، فالتشاور بين الزوجين في كل ما يتعلق بالحياة الزوجية من باب أولى، ولا يصلح أن ينفرد أحد الزوجين باتخاذ القرارات المتعلقة بحياتهما الزوجية دون الرجوع للطرف الآخر والتشاور. وفي قضية فطام المولود عن الرضاعة قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾[1]، فلابد من التشاور بين الزوجين في تحقيق مصالح الحياة الزوجية.

هذه سبع حقائق أُوصي بها لكل زوجين يطلبان السعادة في الحياة.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

(١) سورة البقرة:٢٣٣.

الاعتداء على ضريح الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

عبد الله بن فيصل الأهدل

طالعتنا المواقع الإخبارية بتَعرُّض ما أطلقوا عليه ضريح الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى - في بلدة صغيرة جنوبي إدلب في قرية الدير الشرقي التابعة لمدينة معرَّة النعمان - إلى قصف متكرر من قِبَل قوات النظام السوري على مدار السنوات الماضية، الأمر الذي نتج عنه دمار في قُبَّـته وبعض جدرانه الخارجية، وبعد سيطرت قوات إيران والأسد على المنطقة خرَّبت الضريح المزعوم، وأحرقته في يناير من هذا العام ٢٠٢٠م.

وقبل أيام تعرَّض الضريح إلى الانتهاك التامِّ ونَبْش القبر.

وانبرت - مشكورة - عدة من المؤسسات والمجالس العلمية والشخصيات الاعتبارية السُّنِّيَّة لاستنكار إجرام التحالف الباطني في حقِّ ضريح الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى.

ونقول وبالله التوفيق:

(١) الخليفة العادل أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم القرشي الأموي المدني ثم الدمشقي رحمه الله تعالى - ثامن خلفاء بني أمية - يعرفه الكبير والصغير من المسلمين؛ فقد وُصِف رحمه الله تعالى بالخليفة الراشد، وأطبقت الأمة على إمامته في الدين والدنيا، وأنَّه مجدد الإسلام على رأس المائة الأولى.

كلُّ ذلك رغم أنَّ وِلايته كانت تسعة وعشرين شهراً فقط - مثل ولاية أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزاً مَنِيعاً إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً.. كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ))[1].

وكان رحمه الله تعالى ثقة مأموناً، له فقه وعلم وورع، وروى حديثاً كثيراً رحمه الله تعالى. وهو حفيد أمير المؤمنين الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أُمُّه أُمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

حفظ عمر بن عبد العزيز القرآن وتدبَّره وتأثَّر به كثيراً وهو غلام صغير؛ قال ضمام بن إسماعيل عن أبي قبيل: «إنَّ عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير؛ فبلغ ذلك أُمَّه فأرسلت إليه وقالت: ما يُبكيك؟ قال: ذكرت الموت. قال: وكان يومئذ قد جمع القرآن وهو غلام صغير، فبكت أُمُّه حين بلغها ذلك»[2].

وكان رحمه الله تعالى من أكثر أهل عصره تتبُّعاً واقتداءً برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يقول الصحابي الجليل أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْبَهَ صَلاَةً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْفَتَى يَعْنِي: عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ»[3].

وقال البخاري: «وقال موسى: حدثنا نوح بن قيس، قال: سمعت أيوب يقول: لا نعلم أحداً ممن أدركنا كان آخذ عن نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه ـ يعنى: عمر بن عبد العزيز»[4].

(١) رواه مسلم (١٨٢١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١١٦/٥)، وتاريخ دمشق)(١٣٥/٤٥).
(٣) رواه أبو داود (٨٨٨)، والنسائي (١١١٣)، وغيرهما، وحسَّنه الألباني في صحيح النسائي.
(٤) رواه في التاريخ الكبير (١٧٥/٦)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق

وكان رحمه الله تعالى من أوائل من أَمر بكتابة حديث رسول الله ﷺ حتى لا يُنسَى وأمر بإفشاء العلم؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ قال: «وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ: انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاكْتُبْهُ؛ فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ، وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ، وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلْتُفْشُوا الْعِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرّاً»(١).

فهل مثل هذا الإمام العالم العادل الممدوح من كلِّ الطوائف يُعتدَى على قبره ويُنبَش؟!! لا شكَّ أنَّ من فعل هذا من روافض إيران وباطنية النصيرية وجلاوزة بشار الأسد قد امتلأت قلوبهم غلّاً على الإسلام نفسه، لا على عمر بن عبد العزيز فحسب.. وهذا مما يُبيِّن أنَّ دين هؤلاء القوم مختلف عن دين الإسلام.

وأَرسى رحمه الله تعالى قواعد العدل -كما شَهِد بذلك القاصي والداني - وحرَّض الناس على معاونته في الخير ولِصالح المستضعفين والمظلومين؛ قال الزبير بن بكار: «حدثني محمد بن سلام، عن سلام بن سليم، قال: لَمَّا وَلِيَ عمر بن عبد العزيز، صعد المنبر، فكان أول خطبة خطبها، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيُّها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس، وإلَّا فلا يقربنا:

١. يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها.

٢. ويعيننا على الخير بجهده.

٣. ويدلُّنا من الخير على ما لا نهتدى إليه.

٤. ولا يغتابن عندنا الرعية.

٥. ولا يعترض فيما لا يعنيه.

فانقشع عنه الشعراء والخطباء، وثبت الفقهاء والزهَّاد، وقالوا: ما يسعُنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله..».

وَقَالَ مُزَاحِمُ بْنُ زُفَرَ: «قَالَ لَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: خَمْسٌ إِذَا أَخْطَأَ الْقَاضِي مِنْهُنَّ خَصْلَةً كَانَتْ فِيهِ وَصْمَةٌ:

١. أَنْ يَكُونَ فَهِماً.

٢. حَلِيماً.

٣. عَفِيفاً.

٤. صَلِيباً.

٥. عَالِماً، سَئُولاً عَنْ الْعِلْمِ»(٢).

---

(١) رواه البخاري في باب كَيْفَ يُقْبَضُ الْعِلْمُ. (٤٥/١٤٩)، وسنده حسن.

(٢) علَّقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم.

وقد مدحه - رحمه الله تعالى - إمام معتبر عند الشيعة هو أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - وهو أيضاً ثقة فاضل عند أهل السنة أخرج حديثه الجماعة -؛ يقول رحمه الله تعالى: «لكلِّ قوم نجيبة، وإنَّ نجيبة بني أُميَّة عمر بن عبد العزيز، إنَّه يبعث أُمَّة وحده»[1].

ومناقبه وفضائله كثيرة جدّاً لا يتَّسع لها مثل هذه العجالة.

(٢) فهل مثل هذا الإمام العالم العادل الممدوح من كلِّ الطوائف يُعتدَى على قبره ويُنبَش؟!! لا شكَّ أنَّ من فعل هذا من روافض إيران وباطنية النصيرية وجلاوزة بشار الأسد قد امتلأت قلبوهم غلّاً على الإسلام نفسه، لا على عمر بن عبد العزيز فحسب.. وهذا مما يُبيِّن أنَّ دين هؤلاء القوم مختلف عن دين الإسلام.

وقد جهدنا ونحن نبحث عن سبب ومسوِّغ لهم ليحقدوا كلَّ هذا الحقد على هذا الإمام، فلم نجد إلَّا أنَّه رحمه الله تعالى كان حفيداً لأمير المؤمنين الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع كراهيتهم الشديدة لابن الخطاب، أو لأنَّه من بني أُميَّة، أو ربما لأنَّ اسمه عمر! أو ربما يكون لما ورد من أنَّ عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ولد سنة

مقتل الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يعنى سنة إحدى وستين للهجرة -.. وهذا غير بعيد عن عقول هؤلاء المتلئة بالأحقاد والخزعبلات والخرافات.

(٣) لا شكَّ أنَّ حُرمة الميِّت كحرمته حيّاً، وأنَّ الرجل كلَّما كان أكثر علماً وصلاحاً كان قبره أكثر حُرمة، ولا شكَّ أنَّ الضرائح والأبنية التي تُبني على قبور الـمُعَظَّمين عند الجهلة إنَّما هي بدعة ضلالة، ولا شكَّ أنَّ عمر بن عبد العزيز لم يأمر ببناء شيء من ذلك؛ بل لا يثبت أساساً أنَّه - رحمه الله تعالى - دُفن في هذا القبر، وقد ذكرت بعض المواقع الإخبارية أنَّ هذا الضريح قد بُني وفق النموذج المعماري المملوكي، وقد بقي هذا البناء مهملاً حتى تسعينات القرن الماضي حين

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢٠).

قامت المديرية العامَّة للآثار والمتاحف بترميمه وبناء قبَّة تكريمية فوق باحة الضريح وحديقة عامَّة حوله مخصصة للزوار والسياح. وهذا يفيد براءة عمر وأهل عصره من هذا الضريح أصلاً.

(٤) بل إنَّه لا يُمكن الجزم بموقع قبر عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - الحقيقي، ففي الشام أربعة أماكن أخرى يُشار إليها بلافتات على أنَّها مكان ضريح الخليفة عمر بن عبد العزيز، ثلاثة منها في حمص، وواحد في غوطة دمشق.

ومن ذلك يُستفاد أنَّ المقصود الحقيقي في هذا الأمر هو إهانة وتحقير شأن المسلمين في كافة أرجاء الأرض.

(٥) وثَمَّة خبر له تعلُّق وارتباط وثيق أعقب انتهاك ضريح عمر بن عبد العزيز المزعوم، وهو ما قام به الرافضي حسن الكعبي نائب رئيس البرلمان العراقي من مهاجمة السعودية لإعادة بناء قبور الأئمة الموجودة بمقبرة البقيع المحاذية للحرم النبوي بالمدينة النبوية.. وقال الكعبي: «إنَّ على المجتمع الدولي والمنظمات ذات العلاقة والدول العربية والإسلامية كافة باستنهاض وشحذ هممهم وأخذ دورهم الجادِّ في الضغط على المملكة العربية السعودية في إعادة بناء قبور أئمة البقيع»، ومعالجة الكارثة الكبرى التي تمثلت بهدم أضرحتهم الطاهرة.

وأكَّد «ضرورة السعي الجاد للحكومة العراقية للتحرك بهذا الصدد».

وأشار الكعبي إلى أنَّ «احترام المذاهب الإسلامية ومعتقدات الشعوب وشعائرهم الدينية يُحتِّم على أصحاب الشأن في السعودية الإسراع في بناء الأضرحة المقدسة، وطي صفحة سوداء طالت عشرات السنين، مليئة بالألم والأسى والحزن الذي يتجدد للمسلمين في كلِّ عام».

لكن دماء مئات الآلاف من المسلمين الأبرياء التي أراقها هؤلاء الروافض والباطنية بمباركة من المجتمع الدولي أشدُّ وأعظم من مجرَّد نبش قبر دارس ينسب للخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بغير مستند صحيح.

وهذا منه إمَّا أنَّه متابعة لخطَّة مرسومة من إشعال الحروب والفتن بين السُّنة والشيعة، وإمَّا أنَّه - على أحسن تقدير - استغلال للحدث بحيث يُقال: أمسكوا على أيدي المتطرفين من الجانبين

ونعيد لكم ما تهدَّم من أضرحة لأهل السنة وتعيدوا لنا ما تهدَّم من أضرحة أئمة الشيعة.

وأهل السنة المَحضة المتَّبعين لسُنَّة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعلمون أنَّ البناء على القبور محرَّم، وقد جاء في ذلك أحاديث عديدة عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الصحيح، منها ما رواه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنَّه قال لأبي الهيَّاج الأسدي: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ ((أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالاً إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْراً مُشْرِفاً إِلَّا سَوَّيْتَهُ)) (١).

(٦) علَّق بعض إخواننا بقوله: بعد نبش قبر عمر بن عبد العزيز ماذا ننتظر؟ أن تُنقض الكعبة حجراً حجراً ونحن ننظر.

وهذه عاطفة يؤجر عليها إن شاء الله، لكنَّ دماء مئات الآلاف من المسلمين الأبرياء التي أراقها هؤلاء الروافض والباطنية بمباركة من المجتمع الدولي أشدُّ وأعظم من مجرَّد نبش قبر دارس ينسب للخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بغير مستند صحيح؛ بل حرمة المسلم الواحد أشدُّ عند الله عَزَّوَجَلَّ من الكعبة؛ عن عبد الله بن عمر قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ: ((مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ، وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْراً)) (٢).

ونحوه عن ابن عباس قال: لما نظر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى الكعبة قال: ((مرحباً بك من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك ولَلمؤمنُ أعظمُ حرمةً عند اللهِ منكِ، إن الله حرَّم منك واحدة وحرم من المؤمن ثلاثاً: دمه، وماله، وأن يظن به ظن السوء)) (٣).

نَصَر الله عباده المستضعفين في الشام وفي عامَّة بقاع الأرض.

(١) رواه مسلم (٩٦٩).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٩٣٢) وغيره، وقوَّاه الألباني في الصحيحة تحت الحديث رقم (٣٤٢٠).

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٦٧٠٦)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٤٢٠).

موقع العقل وأهمية عمل القلب

أ.د. محمد أمحزون

إن أهم عضو في الجسد على الإطلاق هو القلب، لكن هل موقع العقل هو القلب؟ لقد ظل الاعتقاد السائد عند علماء البيولوجيا وفيسيولوجيا الأعصاب إلى وقت قريب أن القلب عبارة عن مضخة فقط لضخ الدم لا أكثر ولا أقل، في الوقت الذي تحدث فيه القرآن الكريم عن القلب بأنه المنظم لكل السلوك البشري، والمتحكم في كل تصرفات الإنسان.

إن النظرة العلمية القديمة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين لم تستطع أن تفسر الإدراك الحسي، فعبرت عنه بأنه عبارة عن موجات ضوئية، وتغيرات كيميائية ونبضات كهربائية في الأعصاب ونشاط خلايا المخ.

وفي القرن العشرين خطا علم الفيسيولوجيا خطوات إلى الأمام، وتوصل العلماء إلى أن الإدراك الحسي حقيقة، ولكنه ليس المادة، ولا هو من خواص المادة، وليس في مقدور المادة أن تفسره. ولذلك كشفت هذه النظرة الجديدة وجود عنصرين جوهريين في الإنسان: الجسم والعقل.

وبدأت هذه النظرة الجديدة بـ(تشارلز شرنغتون)، الذي يعتبر مؤسس فسيولوجيا الأعصاب الحديثة. ونتيجة بحوثه الرائدة في الجهاز العصبي والدماغ خلص إلى ما يلي: «فحياة البدن هي مسألة كيمياء وفيزياء، أما العقل فهو يستعصي على الكيمياء والفيزياء»[1].

(١) روبرت أغروس وجورج ستانسيو: العلم في منظوره الجديد، ٢٦.

ولكن فيما يتعلق بالعلاقة القائمة بين العقل والإرادة، فإن إلقاء الضوء على هذا الجانب يعود الفضل فيه إلى الطبيب الجراح (ويلدر بنفيلد) الذي أجرى عمليات جراحية على أدمغة ما يربو على ألف مريض في حالة الوعي. ولكن الآثار المترتبة على اكتشافاته لم تتضح إلا في عام ١٩٧٥م، حين نُشر كتابه المسمى (لغز العقل) (The Mystery of the Mind)[١].

وباستخدامه أساليب المراقبة والتجربة استطاع بنفيلد أن يرسم خريطة كاملة تبيّن مناطق الدماغ المسؤولة عن النطق والحركة وجميع الحواس الداخلية والخارجية. غير أنه لم يكن في المستطاع تحديد موقع العقل أو الإرادة في أي جزء من الدماغ. فالدماغ هو مقر الإحساس والذاكرة والعواطف والقدرة على الحركة، ولكنه ليس مقر العقل أو الإرادة[٢].

وقد توصل إلى حقيقة مفادها: أنه لا يتوقع أن يقوم علم وظائف الأعضاء في المستقبل بإظهار انبثاق العقل من المادة، قال: «يبدو من المؤكد أن تفسير العقل على أساس النشاط العصبي داخل الدماغ سيظل أمراً مستحيلاً كل الاستحالة... وإنه أقرب إلى المنطق أن نقول: إن العقل ربما كان جوهراً متميزاً ومختلفاً عن الجسم»[٣].

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٣٥.
(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٣٩.
(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٤٣.

أثبتت أحدث الدراسات العلمية بالأدلة العلمية القوية والصلبة بأن القلب يتصل بالدماغ وبقية الجسم بثلاث طرق، وهي: طريق عصبي من خلال إرسال النبضات العصبية، وطريق بيوكيميائي من خلال الهورمونات والإنزيمات والناقلات العصبية، وطريق فيزيائي بواسطة موجات الضغط، وطريق رابع من خلال تفاعلات الحقول الكهرومغناطيسية للقلب.

وقد أثبتت أحدث الدراسات العلمية بأن القلب يتصل بالدماغ وبقية الجسم بثلاث طرق تم توثيقها بالأدلة العلمية القوية والصلبة، وهذه الطرق هي: الطريق العصبي من خلال إرسال النبضات العصبية، والطريق البيوكيميائي من خلال الهورمونات والإنزيمات والناقلات العصبية، والطريق الفيزيائي بواسطة موجات الضغط، والطريق الرابع عبر الطاقة من خلال تفاعلات الحقول الكهرومغناطيسية للقلب[٤].

(٤) أحمد البشير إدريس: القلب المدخل الوحيد إلى مراكز الإدراك في العقل البشري، مجلة الإعجاز العلمي، العدد ٤٥، ص ٤٥.

ومن المدهش أن الشبكة العصبية داخل القلب بلغت من التعقيد بحيث أن كثيراً من العلماء قالوا إنها قادرة على التفكير والإحساس والتذكر، لدرجة أن العالم أرمور (Armour) أول من أطلق عليها مصطلح مخ القلب (Heart Brain) في عام ١٤١١هـ (١٩٩١م). وقد ذاع صيت هذا المفهوم كثيرا بعد أن أصدر كتاباً بهذا الاسم[١].

وفي العقدين الأخيرين أظهرت الأبحاث مفهوماً جديداً، وهو أن مخ القلب يرسل إلى مخ الدماغ إشارات كهربائية حوالي ٨٠٪، أكثر مما يرسل المخ إلى القلب حوالي ٢٠٪، وذلك من خلال العصب العاشر المخي. وفي محاولة لفهم طبيعة الحوار بين القلب والمخ، أجريت دراسات لتتبع كيف تصل نهايات العصب العاشر بالمخ فكشف العلماء أهم هذه المناطق وهي:

(١) منطقة الفص الصدغي بالمخ، وهي جزء من القشرة المخية المنوطة بعملية التعلم والتذكر والوعي.

(٢) منطقة اللوزة، وهي جزء مهم من الجهاز الحافي للمخ (Limbic System) الذي تناط به المشاعر والأحاسيس.

(٣) نواة رافي، وهي مركز عصبي يقع في أسفل جزء المخ، وهو يعمل على إفراز مادة السيروتونين، وهي المسؤولة عن إكساب الإنسان حالة السكينة والطأنينة.

(٤) الناصية، وهي الجزء الأمامي من القشرة المخية المسؤول عن تجميع المعلومات واتخاذ القرار (الأخذ بناصية الأمور)[٢].

فالعمى الضار إذاً هو عمى القلب حين تنطمس بصيرة العقل، ولا يشاهد الإنسان مواقع العبر. فالقلب المبصر يجنح إلى الإيمان، ويخشى سوء العاقبة الماثلة في مصارع الغابرين وأخبار الأمم الماضين، وإلا فمجرد نظر العين وسماع الأذن وسير البدن الخالي من التفكر والاعتبار غير مفيد، ولا يوصل إلى المطلوب.

علما بأن تنشيط القلب لتلك المناطق في المخ هو الذي يحرك ويوجه هذه الوظائف من خلال العصب العاشر. ومن كل ما سبق ذكره من معلومات طبية وفيسيولوجية حديثة يمكن القول بأن القلب هو رأس الأمر في النواحي العصبية والمعرفية، والغدة الأساسية في النواحي الهرمونية، والمضخة الرئيسة في

(١) فؤاد يحيى أحمد: القلب بين القرآن والطب، مجلة الإعجاز العلمي، العدد ٤١، ص ٩.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١٠.

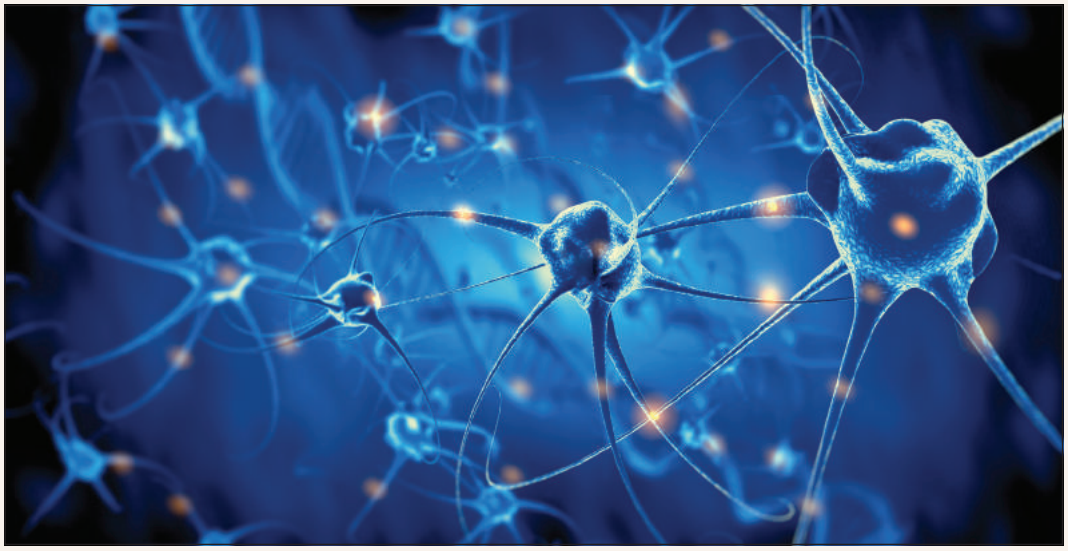

الدورة الدموية، والمولِّد الأقوى في المجالات الكاهرومغناطيسية، حيث أثبت ذلك علماء غربيون على اختلاف تخصصاتهم.

وهذه الوظائف المتنوعة للقلب وعلى رأسها الإدراك والمعرفة، والتي بدأت تتكشف للعلماء في العقدين الأخيرين، عبر عنها القرآن العظيم منذ خمسة عشر قرناً بالإشارة إلى أن العقل موقعه القلب، في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[1]، وقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[2].

فالعيون والآذان وسيلة لإيصال المعلومات، لكن إدراك ماهية الأشياء ومعرفتها والوعي بحقائقها ومقاصدها ومآلاتها هو عمل العقل، وهو ما لا تستطيع الحواس القيام به. وهاهنا جعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ العقل هو مناط الفهم والفقه والإدراك، ومحلُّه القلب.

فالعمى الضار إذاً هو عمى القلب حين تنطمس بصيرة العقل، ولا يشاهد الإنسان مواقع العبر. فالقلب المبصر يجنح إلى الإيمان، ويخشى سوء العاقبة الماثلة في مصارع الغابرين وأخبار الأمم الماضين، وإلا فمجرد نظر العين وسماع الأذن وسير البدن الخالي من التفكر والاعتبار غير مفيد، ولا يوصل إلى المطلوب.

ولأجل ذلك، جاء ذكر القلب في الكتاب العزيز في ١٣٣ موضعاً لأهميته وخطورته، ولأنه مركز الإرادة والعقل والتوجيه، ولأنه موضع الإيمان الأصلي، وإيمانه أهم أجزاء الإيمان، ومن هاهنا علمه وعمله هو أصل الإيمان الذي لا يوجد بدونه، مهما عملت الجوارح. ولا خلاف بين العقلاء في أن كل حركة للحواس لا تكون إلا بإرادة قلبية.

(١) سورة الحج:٤٦.
(٢) سورة الأعراف:١٧٩.

فالقلب ليس ملك الأعضاء فحسب بل هو أعظم من ذلك، إذ هو مصدر توجيهها ومنبع عملها وأساس خيرها وشرها، فإذا كانت إرادته إيمانية كانت أفعال الجوارح إيمانا، وإذ كانت إرادته إرادة كفر أو نفاق أو عصيان كانت أفعال الأعضاء مثلها[١].

علم القلب وعمله هو أصل الإيمان، مهما أقر اللسان وعملت الجوارح. ولذا لم يسم المنافق مؤمناً وإن نطق بكلمة التوحيد وكثر عمل جوارحه بالصلاة والجهاد. بل حتى المؤمن إذا نوى بعمله وجهاده وصدقته طلب الدنيا أو الرياء حبط عمله، وتبدلت المثوبة في حقه عقوبة وعذاباً.

والنصوص في ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال قوله تعالى في حق المؤمنين: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[٢]، وقوله جل ذكره: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٣]، وقوله جل شأنه: ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾[٤].

(١) سفر الحوالي: ظاهر الإرجاء، ٢/ ٥٤١.
(٢) سورة المجادلة:٢٢.
(٣) سورة الأنفال:٢.
(٤) سورة ق:٣٣.

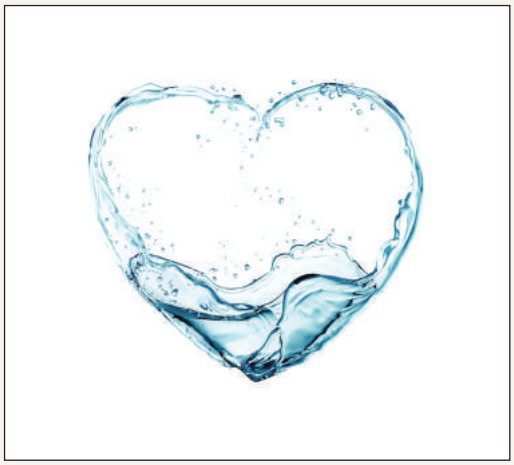

وقال تقدست أسماؤه في حق الكافرين: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾[٥]، وقال جلت عظمته: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾[٦]، وقال عزّ ذكره: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾[٧].

وفي الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: ((**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**))[٨].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**التقوى هاهنا**)) ثم أشار إلى صدره ثلاث مرات[٩].

وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**الإسلام علانية، والإيمان في القلب**))[١٠].

وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول في الدعاء:

(٥) سورة النحل:٢٢.
(٦) سورة الزمر:٤٥.
(٧) سورة البقرة:١٠.
(٨) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، ١/ ١٩.
(٩) أخرجه أحمد في مسنده (بترتيب الساعاتي) ١/ ٦٦.
(١٠) المصدر السابق نفسه، ١/ ٦٦.

((**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**))[1].

ولأجل ذلك كان علم القلب وعمله هو أصل الإيمان، مهما أقر اللسان وعملت الجوارح. ولذا لم يسم المنافق مؤمناً وإن نطق بكلمة التوحيد وكثر عمل جوارحه بالصلاة والجهاد. بل حتى المؤمن إذا نوى بعمله وجهاده وصدقته طلب الدنيا أو الرياء حبط عمله، وتبدلت المثوبة في حقه عقوبة وعذاباً[2].

ترتب على إهمال أعمال القلوب وإغفالها من الآثار المدمرة والفتن المهلكة في حياة الأمة الإسلامية شيء كثير. ومن أخطر ذلك انحصار مفهوم العبادة الذي أصبح قاصراً على شعائر الصلاة والزكاة والصيام والحج، ووقوع الناس في الشرك قادةً وشعوباً بتحكيم القوانين الوضعية، والتحاكم إليها وإحلالها محلَّ الشريعة.

ومما يدل على خطورة علم القلب وعمله وأهميتهما القصوى، إذ هما مصدر توجيه اللسان والجوارح ومنبع عملها وأساس خيرها وشرها قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡ﴾[3]، وقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ﴾[4].

وللأسف الشديد، لقد ترتب على إهمال أعمال القلوب وإغفالها من الآثار المدمرة والفتن المهلكة في حياة الأمة الإسلامية شيء كثير. ومن أخطر ذلك انحصار مفهوم العبادة الذي أصبح قاصراً على شعائر الصلاة والزكاة والصيام والحج، ووقوع الناس في الشرك قادةً وشعوباً بتحكيم القوانين الوضعية، والتحاكم إليها وإحلالها محلَّ الشريعة، رغم أنهم يقرأون قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾[5]، وفي قراءة ابن عامر: ﴿وَلَا تُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾[6]. بل هناك من دعاة العلمانية والليبرالية والديمقراطية في الدوائر الرسمية والثقافية من يرفع عقيرته معترضاً على كثير مما أنزل الله تعالى، خاصة في مجال السياسة الشرعية، والولاء والبراء، والجهاد، والحجاب، والمعاملات المالية، وغير ذلك من أحكام الشريعة، والله تعالى المستعان.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعاء.
(٢) سفر الحوالي: ظاهرة الإرجاء، ٢/٥٤٣.
(٣) سورة البقرة:٢٢٥.
(٤) سورة الأحزاب:٥.
(٥) سورة الكهف:٢٦.
(٦) الشنقيطي: أضواء البيان، ٤/٨٢.

الشيخ
محمد هاشم الهدية
الرئيس العام
لجماعة أنصار السنة المحمدية
بالسودان

بقلم تلميذه / الشيخ عماد الدين بكري أبو حراز

نشأته وطلبه للعلم:

ولد الشيخ محمد هاشم محمد الهدية بمدينة رفاعة - ١٨٠ كلم جنوب الخرطوم - في ١٣٢٨هـ= ١٩١٠م، ماتت أمه، رَحِمَهَا ٱللَّهُ، وهو رضيع، وسافر أبوه لغرب السودان للعمل، فكفلته جدته رَحِمَهَا ٱللَّهُ.

في بداية نشأته بدأ بحفظ القرآن بالخلوة (الكُتَّاب) في مسقط رأسه في رفاعة، ثم المدرسة الأولية (الابتدائي) ثم المتوسطة، ثم الثانوية - كلية غردون التذكارية (جامعة الخرطوم بعد الاستقلال).

وبعد تخرجه التحق بمصلحة البريد والبرق، وتدرج في سلم وظائفها حتى حاز أعلى المراتب فيها.

وانتقل موظفاً ببريد الفاشر، حاضرة دارفور بغرب السودان، في ١٣٥١هـ= ١٩٣٣م، لحوقاً بوالده الذي كان يعمل هناك، ثم غادرها لمدينة الابيض في ١٣٥٢هـ، ثم عاد للفاشر في ١٣٥٣هـ، وأقنع والده بالسفر لأم درمان والاستقرار بها، وكان ذلك في ١٣٥٤هـ = ١٩٣٦م، فحلَّ بأم درمان - حي المسالمة - وتزوج في نفس السنة.

كانت أسرته في انتمائها موزعةً بين طائفتي أنصار المهدي، ويرأسها آل المهدي، والختمية، طائفة صوفية معروفة يرأسها آل الميرغني.

ونشأ الشيخ ختمياً، ثم عزمياً تبعًا للطريقة الصوفية العزمية.

ثم وفقه الله للحج في عام ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م، وهناك التقى بالمسلمين من كل دول العالم، والتقى بعدد من علماء الأمة الإسلامية من جميع البلاد.

وعاد ومعه بعض الكتب والرسائل في العقيدة (كتاب التوحيد، كشف الشبهات، والكلم الطيب في الأذكار) .

كان رحمه الله حليماً رؤوفاً سواء مع مخالفه من المتصوفة أو من الجماعات الأخرى، أو مع من خرج عليه من منسوبي الجماعة، أو من بسطاء وعامة الناس الذين يجهلون الدعوة ويعادونها.

والتحق بدروس الشيخ عبد الباقي يوسف النعمة، بقلعة صالح جبريل بأم درمان، وهناك عرف العقيدة الصحيحة، والتحق بعدها بجماعة أنصار السنة المحمدية، وكان بها عدد قليل من المنتسبين وعدد أقل من الشيوخ (على رأسهم الشيخ أبُّو، والشيخ يوسف عمر آغا وآخرون).

حلمه ورأفته:

سواء كان مع مخالفه من المتصوفة أو من الجماعات الأخرى، أو مع من خرج عليه من منسوبي الجماعة، أو من بسطاء وعامة الناس الذين يجهلون الدعوة ويعادونها.

مثال ١: جاءه أحد الدعاة ممن خرج من الجماعة إلى تجمع آخر، وكان قد طلب منه في موقع عمله أن يأتي بتزكية من الشيخ الهدية لتجديد عقده، قال هذا الداعية: احترت، وأنا من يوم خرجت من الجماعة لم ألتقِ الشيخ، فكيف سأذهب إليه وكيف سيقابلني، وقلت في النهاية في نفسي: «يا ولد، امشِ للشيخ فإن أعطاك خطاب التزكية، كان بها والحمد لله، وإن لم يعطك فأصلاً لن يجدد عقدك إلا بها»، قال: فذهبت إليه صباحاً في منزله، فسلمت عليه، وجلست، ولم أدري كيف أبدأ الحديث، ولكن بدأ الشيخ كعادته، وسألني :كيف حالك يا ولدي وكيف أولادك ووالديك؟ وكيف فلان وفلان وفلان - مجموعة من الدعاة الذين فارقوا الجماعة -؟ وإن شاء الله كلهم مستمر في الدعوة؟ وفي كل ذلك أقول له: بخير والحمد لله، وهم في دعوتهم من المجتهدين، فيقول الشيخ: الحمد لله. وبعد تردد قلت: والله يا شيخ طُلِب مني لتجديد العقد أن آتي بتزكية من عندك، فنظر إلي وقال: بس كده، طيب ادخل الغرفة وأحضر الدفتر من على الطاولة؛ فكتب التزكية موجهةً لتلك الجهة، وأثنى علي فيها، فأخذتها شاكراً له، فقال لي: يا ولدي الله ينفع بك، وخرجت منه وجلست داخل سيارتي أبكي، وأقول: أي حلم هذا؟ وأي شيخ داعية مربٍّ رحيم هذا؟ يقول الداعية: والله لم يسألني ويقول: لي يا فلان لم تركتنا؟ أو سمعت أنك قلت

فينا أو إخوانك فلان وفلان قالوا فينا كذا وكذا، بل سأل عنهم ودعا لهم.

مثال ٢: جاءه أحد أهل أم درمان مغاضباً، وأجلسه حفيد الشيخ وصب له الشاي، فلم يمد يده إليه، وسكت مسافة، وعرف الشيخ أن الزائر غضبان، فأخذ يكلم حفيده ويضحكان، إلى أن انفرجت أسارير الزائر وبدأ يبتسم، ثم صار يضحك من حديث الشيخ، ثم شاركهم الحديث.

و قال للشيخ: «يا شيخ الهدية، هسا أنت ما زول زينا (يعني أنت شخص عادي مثلنا وكذا)»، فقال له الشيخ: هو قالو ليك الهدية عنده قرون، فضحك الجميع، وأردف الزائر قائلاً، «لكن ما عندي ولد قالوا تابع ليكم مجننا جن في البيت، أمه على أخواته، تعبنا شديد، يكلمنا عن الإسلام كأننا كفار»، فطيب الشيخ خاطره وقال له: «هو ولدك ده ليه كم في الشغلانة دي؟» أي: منذ متى التزم؟ فقال له: تقريباً شهرين، فقال له: «بس، خليه هسا ببرد».

نشاطه العلمي والدعوي:

كانت رئاسة الجماعة وقتها في منزل رئيسها الشيخ يوسف عمر آغا بشمال المسالمة.

ثم أسس الشيخ مع هؤلاء المشايخ داراً للجماعة في حي مكي الشهير بأم درمان، ثم انتقلت الدار إلى ميدان البحيرة بحي الملازمين الشهير بأم درمان.

فترة رئاسة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ للجماعة:

ترأس الشيخ الجماعة سنة ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م، واستمر رئيساً لها حتى وفاته في ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

كان الشيخ طيلة هذه الفترة قائماً، بالدعوة خطيباً مفوهاً في مسجد العرضة، أو جامع الملك فيصل كما يحلو لعامة الناس. وذلك منذ تأسيسه إلى أن تنازل

لتلميذه النجيب الداعية الأريب الأستاذ كامل عمر البلال، الذي ما زال خطيباً فيه حفظه الله، وخطب الشيخ الهدية كذلك في العديد من المساجد داخل ولاية الخرطوم وخارجها في ولايات السودان المختلفة.

وكثر دعاة الجماعة في عهده، من خريجي الجامعات، من حملة الإجازة والشهادات العليا في العلوم الشرعية بخاصة والعلوم الإنسانية والتجريبية بعامة، وانتشروا في ربوع البلاد بولاياته المختلفة، منخرطين في سلك الدعوة والتعليم، والطب والهندسة والإدارة وجميع مناحي الحياة ومناشطها.

وشارك في العديد من الندوات والمحاضرات داخل السودان وخارجه.

في الدعوة: شهدت الدعوة نشاطاً كبيراً في فترة رئاسته للجماعة، وكثر أتباع الجماعة.

وبنيت في عهده آلاف المساجد للجماعة ولغيرها، وذلك لبعد نظره ورؤيته في أن انتشار المساجد انتشار للدعوة، وأنشأت المعاهد والكليات وجامعة دلتا للعلوم.

وفي الإعلام: مجلة الاستجابة وإذاعة البصيرة وقناة الاستجابة الفضائية.

وكثر دعاة الجماعة في عهده، من خريجي الجامعات، من حملة الإجازة والشهادات العليا في العلوم الشرعية بخاصة والعلوم الإنسانية والتجريبية بعامة، وانتشروا في ربوع البلاد بولاياته المختلفة، منخرطين في سلك الدعوة والتعليم، والطب والهندسة والإدارة وجميع مناحي الحياة ومناشطها.

نشاطه السياسي ونضاله ضد الانجليز:

انضم الشيخ لمؤتمر الخريجين وناديه منذ بداية تأسيسه في ١٣٥٤هـ = ١٩٣٦م.

ونادي الخريجين ومؤتمره، أسسه خريجو كلية غردون التذكارية، وعلى رأسهم زعماء الحركة الوطنية، منهم الزعيم إسماعيل الأزهري، محمد أحمد محجوب، مبارك زروق وغيرهم من الوطنيين.

وكان الهدف الرئيس من إنشائه، هو مجابهة المستعمر الإنجليزي بعلم ودراية وتنسيق بين هؤلاء الخريجين، وكذلك من أهدافه توعية جمهور السودانيين، وبث روح الاستقلال عن المستعمر الإنجليزي في نفوسهم وغرس هذه الروح فيهم وفي أهاليهم .

وكان لمؤتمر الخريجين - عبر منتسبيه - دور كبير في مناهضة المستعمر، ومن ثم خروجه في يناير ١٩٥٦م.

أنشأ أول معهد لتعليم اللغة العربية في السودان، فكان يقبل له الطلاب الأفارقة، ومقره بدار أنصار السنة بميدان البحيرة بالملازمين - أم درمان، ثم انتقل بجوار مسجده بحي العرضة.

منافحة الشيخ في إرساء قواعد الشرع وتحكيمه في السودان وذلك عبر:

(١) عضويته في جبهة الدستور الإسلامي، وذلك قبل الاستقلال، أي قبل ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م.

(٢) جبهة الميثاق، وكان من مؤسسيها مع لفيف من الجماعات الإسلامية العاملة، الإخوان المسلمين وبعض المتصوفة، وغيرهم من المستقلين.

وكان دائم المناصحة لحكام السودان منذ الاستقلال وحتى وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك عبر المشافهة والرسائل الخاصة وفي بعض خطبه كذلك، ينصحهم بإقامة شرع الله، والعدل مع الرعية والرأفة بهم، وتحقيق مطالبهم العادلة.

جرأته في الحق والصدع به:

بعد مجزرة الخليفي ومن معه من خوارج العصر، الذين داهموا مسجد الشيخ أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في صلاة الجمعة وقتلوا مجموعة من الشباب وجرحوا آخرين، وسلَّم الله الشيخ أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تلك المجزرة ولم يكن خطيباً في مسجده ذلك اليوم، وإنما كان في افتتاح مسجد جديد للجماعة، وسلَّم الله خلفه كذلك وهو فضيلة الشيخ المربي محمد الأمين إسماعيل حفظه الله تعالى ووفقه.

بعد هذه المجزرة بشهرين تقريباً، دعا الرئيس البشير الشيخ الهدية وبعض دعاة الجماعة لوجبة عشاء في بيت الضيافة، فذهب الشيخ وبصحبته كوكبة من الدعاة، وأخذ الشيخ يحكي مع الرئيس ويورد القصص والحكاوي والأمثلة، والحضور بين ابتسامة وضحك وإعجاب، إلى أن جاء أحدهم قائلاً للرئيس العشاء جاهز، فوجه الدعوة للشيخ، بِسْم الله يا شيخ إلى العشاء.

وهنا زأر الشيخ زئير الأسد، قائلاً: «أنا وإخواني ديل نأكل عندك؟ وشيخ أبو زيد وإخواننا مسجونين عندك ظلماً وعدواناً»، فقال له الرئيس: يا شيخ الهدية نتعشى وبعده نتكلم في الموضوع، فقال الشيخ: ومين القال ليك نحن جايين نأكل؟ فتدخل

هنا د. نافع علي نافع وكان وقتها مديراً لجهاز الأمن والمخابرات، وقال يا شيخ الهدية، فقاطعه شيخ الهدية قائلاً: عفواً أنا بكلم الرئيس، ثم قال للرئيس: «أبناؤنا قتلوا، وسجنتم أحد أكبر مشايخنا، ومعه بعض دعاتنا، وتريدنا نأكل وهم في السجن، لا أبداً، كيف ستنبلع لنا اللقمة؟ إخواننا في السجن لن نأكل، يللا يا شباب»، وهم بالخروج، فاضطر البشير أن يأمر بالإفراج عنهم، والحمد لله.

اهتمامه بنشر الدعوة خارج السودان:

(١) إنشاؤه لأول معهد لتعليم اللغة العربية في السودان، فكان يقبل له الطلاب الأفارقة، ومقره بدار أنصار السنة بميدان البحيرة بالملازمين - أم درمان، ثم انتقل بجوار مسجده بحي العرضة.

أنشأ هو والشيخ عبد الرؤوف التكينة رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، المعهد الإسلامي الأفريقي، وكان مبدؤه في مبنى جماعة أنصار السنة بالملازمين - أم درمان كذلك، قبل أن ينتقل لمقره الحالي - جامعة إفريقيا العالمية، وصار معهداً دولياً ساهمت فيه سبع دول.

(٢) كان يبتعث المميزين من معهد طلاب اللغة العربية لجامعات السعودية، الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الإمام بالرياض.

(٣) وكان اهتمامه كبيراً بشباب الدعوة وتعليمهم، فجئته في سنة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، فقلت له: شيخنا أنا الآن أدرس بالخارج، والفرصة متاحة لقبول طلاب في الكليات المختلفة، فقال لي: ممتاز، اختر شبابك، فاخترت ثمانية من الشباب ثم أردف باثنين آخرين، تكفلت الجماعة بتذاكر سفرهم، فكانوا عشرةً كاملةً.

وكان دائم المناصحة لحكام السودان منذ الاستقلال وحتى وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك عبر المشافهة والرسائل الخاصة وفي بعض خطبه كذلك، ينصحهم بإقامة شرع الله، والعدل مع الرعية والرأفة بهم، وتحقيق مطالبهم العادلة.

فتوزعوا في كليات مختلفة، شرعية، وتجريبية من كيمياء وإعلام وعلوم كمبيوتر وطب وعلوم سياسية، ومنهم من جمع بين العلوم الشرعية والتجريبية، فكانوا خير طلاب متعاونين متماسكين متعلمين معلمين، أنشانا معاً مجلة الاستقامة في ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، وكانت تصدر شهرياً، فرآها الشيخ العلامة

المحدث الألباني رحمه الله تعالى فأثنى عليها، فجاء ثناؤه عليها في شريط مسجل للشباب، فبكوا فرحاً أن أثنى على مجلتهم وهم طلاب.

وتخرج هؤلاء الشباب بعد أن نالوا شهادات الإجازة، والماجستير والدكتوراة في العلوم المذكورة آنفاً، وانتشروا في أرض الله الواسعة، يقومون بدورهم في بث العلم والمساهمة في العمل وفق تخصصاتهم المختلفة، وهم يلهجون بالثناء والدعاء بالمغفرة والرحمة لشيخنا القائد المربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) ثم ساهم في نشر دعوة أهل السنة بإرساله الدعاة لكثير من دول العالم أفريقيا، أوربا، آسيا وغيرها. ولي معه قصة وحادثة عين، أحسبها كانت خيراً لي ولبعض المشايخ والإخوة هنا وهناك، هي كالآتي:

في أواخر سنة ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م، اتصل علي الأخ أبو معاذ عبد الرحيم محمد عثمان، رحمه الله تعالى، وأنا في الرياض في زيارة، فقال لي: يقول لك شيخ الهدية تأتيه في جدة، ولا تذهب للسودان من الرياض مباشرةً، فقلت له حاضر.

فقابلت شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جدة، فقال لي: طلب منا أحد الشيوخ الفضلاء، أن نرسل له بأحد أبنائنا، ليقوم بواجب الخطابة والدعوة والتعليم في مركز بهولندا، ووقع اختيارنا عليك، فقلت له: والله!... وأنا أدلك إحدى يدي بالأخرى، فقلدني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بقريب من صوتي قائلاً: «والله!... أها مالك؟»، فقلت له: أنا في الحقيقة ذهبت لدراسة العلوم الشرعية، وبعد الانتهاء من الدراسة أرجع للبلاد وأتعاون مع إخوتي في الدعوة إلى الله، والله يقول: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [سورة الشعراء:٢١٤].

فقال: «ايواااااه، وعشيرتك الأقربين ديل وين، أوعى تقول لي تندلتي»، فقلت: نعم، فقال لي: «مرمي الله ما بترفع» بمعنى من رماه الله لا يرفعه أحد «يقولوا ليك أمشي هولندا تقول ماشي تندلتي».

«تندلتي برسل ليها البربري ده (يعني شيخنا أبوزيد، وكان حاضراً)، والجعلي بالانتساب ده، (يقصد أخانا عبد الرحمن عبد الجليل وكان حاضراً معنا رحمهم الله جميعاً)»، ثم قال لي: «يا ولد، تمشي هولندا يعني تمشي هولندا، وأسال الله ان ينفع بك ويهدي بك أهل تلك البلاد للإسلام، وأهل تندلتي مسلمون، يكفونهم إخوانك هنا».

وفعلاً ذهبت للسودان للسلام، وتفقدت الوالدة وأخبارها رَحِمَهَا ٱللَّهُ، وكذا الأهل والأولاد، ثم شددت الرحال بعدها لهولندا، ويسر الله لنا مع الشيخ الذي طلبني لهولندا حفظه الله، وبعض الفضلاء في إنشاء مؤسسة مباركة، انتشرت تباعاً في ١٩ دولة أوربية وفي الجمهوريات

الإسلامية بالاتحاد السوفيتي سابقاً، فبحمد الله أقامت المساجد والمراكز الإسلامية والمدارس والمعاهد والكليات، وأصدرت المجلات والدوريات والمجلات الإلكترونية، ومواقع الإنترنت وموسوعة العربية للجميع، التي لاقت رواجاً في أوروبا وآسيا وإفريقيا وأمريكا، وابتعثنا الطلاب من بعض بلدان أوروبا للدراسة بالجامعات الإسلامية والكليات الشرعية، للسودان والسعودية ومصر وسورية والأردن، إذ تخرجت مجموعة طيبة منهم وعادوا لبلدانهم دعاةً مميزين، منهم حملة شهادات دكتوراه؛ فلله الحمد والمنة.

وكان أن أرسلنا أول مجموعتين للسودان، إحداها من بلجيكا والثانية من ألبانيا بمجموع تسعة أشخاص، كلهم قبلوا بالمركز الاسلامي الأفريقي وقتها، وذلك بتوفيق الله، ثم بشفاعة شيخنا الهدية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفاته:

توفي شيخنا العالم الجليل محمد هاشم الهدية في السابع من رمضان لسنة ١٤٢٨ هجرية، عن عمر بلغ مائة عام كاملةً، حافلة بالبذل وبالعطاء غير المحدود، لم يكل ولم يمل، وواصل عطاءه إلى قبل أيام من وفاته كان مداوماً في مكتبه بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية.

فجزى الله الوالد العالم الرباني، المربي شيخنا محمد هاشم محمد الهدية خير الجزاء، ورحمه، وجعل ذلك في ميزان حسناته وصحائف أعماله، يجده كاملاً غير منقوص، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [سورة الشعراء:٨٨-٨٨].

وخلفه على رئاسة الجماعة الشيخ والداعية المربي، أستاذنا ميرغني عمر، وتوفي رحمه الله وغفر له، بعد فترة قصيرة من توليه الرئاسة.

ثم خلفه صاحب الفضيلة المربي الخلوق الشيخ الدكتور إسماعيل عثمان محمد الماحي، وما زال حفظه الله على رئاسة جماعة أنصار السنة، وفقه الله لكل خير.

أحداث أمريكا
وكيف يمكن استخدامها لصالح المسلمين

محمد راشد دُنْدار
عضو الرابطة في تركيا

إن استثمار تلك الأحداث واستخدامها لصالح الإسلام والمسلمين فرع عن مدى استمساكنا - نحن المسلمين- بهذا الدين، وخضوعنا لأوامره وتطبيقه على أرض الواقع في دولنا الإسلامية، فما لم نستمسك به ولم نخضع لأوامره ولم نطبقه على أرض الواقع في دولنا الإسلامية فستبقى كل الجهود أحلاماً وحبراً على ورق، بدون أن يثمر أيَّ ثمر؛ حيث أن فاقد الشيء لا يعطيه.

فبناء على هذه الكلمة أقول:

علينا أن نعلم ونوقن بأن العمود الفقري لوجود وبقاء هذا الدين وإعطائه ثماره في دنيا الناس هو الإيمان به وتطبيقه - حسب ما أراده الله ورسوله - على أرض الواقع، بصدق وإخلاص، سواء فيما بيننا أو في أيّة بقعةٍ من بقاع العالم، وهذا هو ما ترشدنا إليه هذه الآيات التاليات وعديد من أمثالها: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[1]، ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ

(١) سورة العصر.

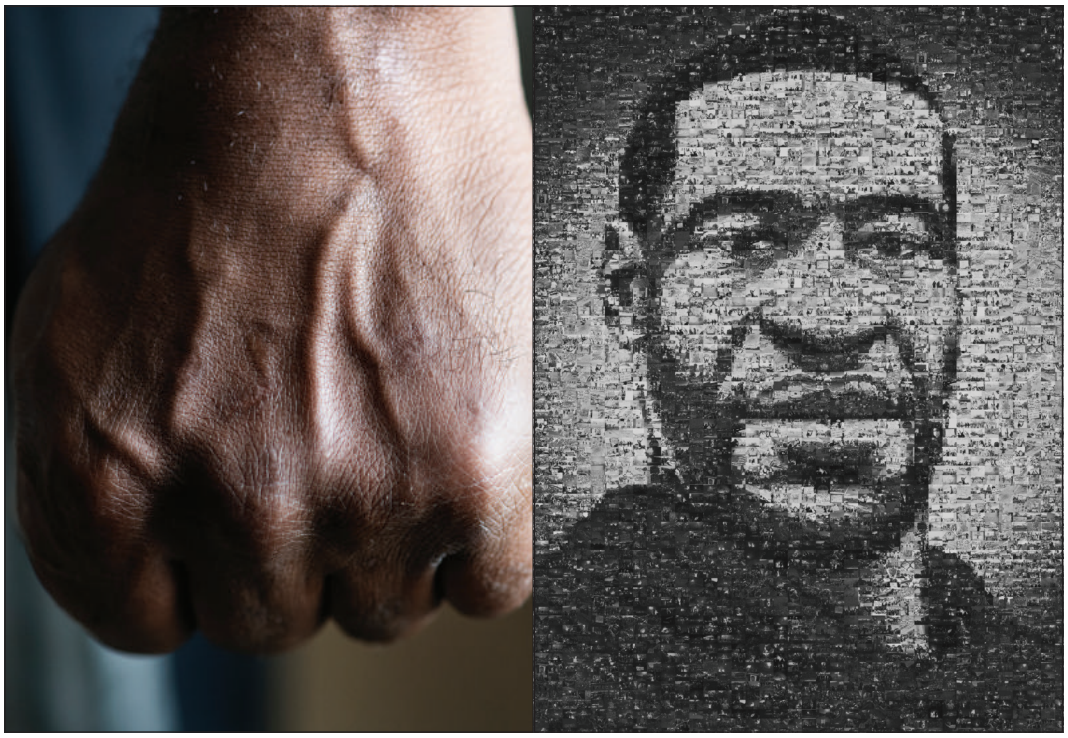

بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾﴾[2]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾[3].

إذاً فكل ما يحدث من الشغب سواء في أمريكا أو أية بقعة من بقاع العالم ناتج عن مخالفة هذه الأوامر الإلهية - سواء الكونية أو الشرعية -، وعن عدم تحكيمها وتطبيقها في الواقع الحالي، سيما جوانب الحقوق والعدل؛ حيث إن الذي جرى ويجري في أمريكا ناتج أولاً - كما جاء في الصحف والمجلات - عن عدم التثبت في أمر الشكوى بحق (جورج فلويد) الذي قام - كما يقال - بشراء علبة من السجائر بعشرين دولاراً، فظن صاحب المتجر أن الدولارات مزورة مع أنها ما كانت مزورة؛ فشكاه - بدون تثبت - إلى الشرطة؛ فحدث ما حدث.

وثانياً ناتج عن السلوك الوحشي الذي يهدم ويهدر الجانب الحقوقي، مع استغلال الجانب العنصري البغيض.

كذلك علينا أن نعلم بأن سنة الله وشرعه - إذا قمنا بمخالفتهما- يعطيان نتائجهما ووعودهما الحتمية من غير محاباة أو مجاملة أو إعطاء حصانة لأيّ أحدٍ، ولو كانت فاطمة بنت محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، أو أحداً من أصحابه الذين ضحّوا بأرواحهم في عديد من المشاهد، سيما معركتي أحدٍ وحنين، اللتين حصلت فيهما النتائج الحتمية لتينك المخالفتين

(١) سورة هود:١١٢.
(٢) سورة الصف:٢.
(٣) سورة الرعد:٢٩.

بدون محاباة لمقام الصحبة، وما هم فيه من الجهاد في سبيل الله.

نعم، إذا ركزنا اهتمامنا على هذا الحادث في أمريكا، وقمنا باستخراج الدروس منه واستخدامها لصالح الإسلام والمسلمين؛ فبإمكاننا أن نحللها كما يلي:

(١) إن عدم التثبت في الأمور والقيام بالتصرفات على خلفية ذلك - بما أنه مخالف لأمر الله - يمكن أن يؤدي إلى ما لا يحمد عقباه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾[1]، وهذا هو الذي حدث في أمريكا، فصاحب المتجر خسر - جراء عدم التثبت - متجره بكامله، حيث احترق المتجر بما فيه، بل أدى إلى حرق عشرات من أمثاله، وإزهاق أرواح عدد من الأبرياء، كل ذلك نتيجة الظن وعدم التثبت فيه.

(٢) إن الله سينتقم من الظالم - مهما علت قوته -، ولو بما لم يكن في الحسبان وبشيء تافه.

فأمريكا المغرورة بقوتها الاقتصادية والعسكرية، والتي ظلمت - ولا زالت تظلم - الشعوب الإسلامية بأبشع أنواع الظلم من القتل والنهب والسلب وغصب أموالها وثرواتها البالغ التريليونات، كادت العشرون دولاراً فقط - والتي لم يكن في الحسبان أن تنتج ما حدث - أن يطيح بعرشها وترامبها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾[2]، ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾[3]، ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾[4]، ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَا﴾[5].

سنة الله لا تتبدل ولا تحابي أحداً من الناس، مسلمهم وكافرهم، فلا يظنن أحدٌ أن هذه الكارثة حدثت في أمريكا لكونها دولة كافرة، كلا؛ فالخطأ خطأٌ، صادر في أيّ مكان كان، ومن أيّ أحدٍ كان، وتكون نتيجته حتمية لكل مكان، ولكل أحدٍ.

(٣) إن سنة الله لا تتبدل ولا تحابي أحداً من الناس، مسلمهم وكافرهم، فلا يظنن أحدٌ أن هذه الكارثة حدثت في أمريكا لكونها دولة كافرة، كلا؛ فالخطأ خطأٌ، صادر في أيّ مكان كان، ومن أيّ أحدٍ كان، وتكون نتيجته حتمية لكل

(١) سورة الحجرات:٦.
(٢) سورة الشعراء:٢٢٧.
(٣) سورة البروج:١٢.
(٤) سورة الأعراف:٩٩.
(٥) سورة القصص:٥٨.

مكان، ولكل أحدٍ، وليس خطأ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في أُحد منّا ببعيد، حينما أجابهم سبحانه على قولهم: ﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ بقوله: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[1]، وقولهم يوم حنين: «لن نغلب اليوم من قلة» ثم إجابة الله لهم قائلاً: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[2].

(٤) انطلاقاً من هذا الحادث الأمريكي علينا أن نقارن بين نتائج تطبيق الحق وتطبيق الباطل، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3]، وقال رسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما صححه الألباني: ((يا أيُّها الناسُ، إنَّ ربَّكمْ واحِدٌ، ألا لا فضلَ لِعربيٍّ على عجَميٍّ ولا لِعجَميٍّ على عربيٍّ ولا لأحمرَ على أسْودَ ولا لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقوَى، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾))[4]، فطُبِّق القولان من قبل المسلمين على أرض الواقع بصدق وإخلاص بنماذج كثيرة وحيّة، فمثلاً: نرى أن صحابياً كعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - استسلاما وخضوعاً وتصديقاً لما في الآية والحديث - كان يقول بدون استنكاف: «أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا»، يعني بلالاً الحبشي الأسود. وأن بلالاً هذا - حسب بعض الروايات - حينما أمره الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم فتح مكة أن يؤذن على سطح الكعبة، صعد إليه واضعاً إحدى رجليه على كتف أبي بكر،

(١) سورة آل عمران:١٦٥.
(٢) سورة التوبة:٢٥.
(٣) سورة الحجرات:١٣.
(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٣٧).

والأخرى على كتف عمر، رضي الله عنهم أجمعين، بدون أن يشعرا بأية غضاضة في ذلك.

قارن بين نتائج هذا العمل الاستسلامي لأمر الله ورسوله، وبين نتائج ما طبقته وتطبقه أمريكا في حق السود، سيما في هذا الحادث الأخير البشع الذي وضع الشرطي الأبيض رجله على رقبة الرجل الأسود بكل قسوة وبلا رحمة. فالناتج من التطبيق العملي لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وقول الرسول: ((ألا لا فضل....)) هو وصول الدولة الإسلامية إلى ذروة القوة، وتمكن المسلمين من تحطيم إمبراطوريتين عظيمتين في غضون ثلاثة وثلاثين سنة من عمر الدولة الإسلامية الفتية.

ولكن الناتج عن مخالفة ما أمره الله ورسوله - أعني هضم الحقوق والظلم ووضع الشرطي الأبيض رجله على رقبة الرجل الأسود تحقيراً وإذلالاً له - هو اهتزاز عرش الدولة العظمى في العالم حتى كاد أن يدمر اقتصادها وقوتها العسكرية.

(٥) كذلك علينا أن نقارن بين طلب الحق المشروع في الإسلام وبين طلبه في القوانين البشرية، حيث أن الدولة الإسلامية بنفسها هي التي تقوم بالدفاع عن تلك الحقوق، وتجعلها جزءاً من دستورها، بدون حاجة إلى أن ينظم أصحاب الحقوق المظاهرات لنيل حقوقهم المشروعة؛ لذا نرى أن أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال في أول خطبة ألقاها حينما عُين خليفة للمسلمين بعد وفاة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله»، ثم نراه قام عملياً بالدفاع عن حقوق الفقراء، وذلك بإعلان الجهاد تجاه مانعي الزكاة التي

هي من حق الفقراء بدون حاجة إلى أن يقوم الفقراء بتنظيم المظاهرات.

وكما نرى أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تولى بنفسه الدفاع عن حق زيد بن السمين اليهودي، من غير حاجة إلى قيامه بالدفاع عن حقه في الحادثة الشهيرة بقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾[1]. وأما في القوانين البشرية فالحقوق مهضومة وغير مضمونة؛ لذا نرى أصحاب الحقوق ينظمون المظاهرات، ويحدثون الشغب، ويحرقون الممتلكات، ويفسدون الحرث والنسل؛ بغية الوصول إلى حقوقهم المشروعة.

فهذه أمريكا، حدِّث عن حقوق السود المهضومة في قوانينها ولا حرج، لدرجة أن علبة الصابون السائل في بعض المطاعم أو دورات المياه عدلت بحيث تضخ الصابون إذا قابلت ثقبها كف بيضاء، وتمتنع إذا قابلتها كف سوداء، إلى عشرات من أمثال هذه التفرقة العنصرية؛ لذا نرى المظلومين ينظمون المظاهرات وأعمال الشغب والفوضى تجاه حكوماتهم - سواء في أمريكا أو غيرها من الحكومات الكافرة -؛ بغية الوصول إلى حقوقهم، وهذا الذي حدث في أمريكا هو من هذا القبيل.

شيوخنا الأفاضل! إن ما قمت بعرضه هو مقارنة بين الدستور الإلهي الذي أنزله الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور والدستور البشري، أما ما يطبقه المسلمون في دولهم ويسمونه بالإسلام فلنا عليه ملاحظات كثيرة، بل هي الكارثة في نفسها، والتي صارت وصمة على جبين المسلمين، حيث أن دول الإسلام تحولت إلى منبع للفوضى، وهضم الحقوق، والأعمال الوحشية، بحيث أصبح لا يبلغ ما يحدث في الدول الأخرى ما يحدث في الدول الإسلامية.

علينا أن نقارن بين طلب الحق المشروع في الإسلام وبين طلبه في القوانين البشرية، حيث أن الدولة الإسلامية بنفسها هي التي تقوم بالدفاع عن تلك الحقوق، وتجعلها جزءاً من دستورها، بدون حاجة إلى أن ينظم أصحاب الحقوق المظاهرات لنيل حقوقهم المشروعة.

هل الإسلام الذي أنزله الله هو الذي أمر بإحداث هذه الأمور الوحشية في الدول الإسلامية؟ أم هل هو الذي أمر ولاة أمور المسلمين بأن يتخذوا الكفار أولياء؟ أم أن ذلك بغية الحفاظ على مقاعدهم أو أية منفعة من المنافع الدنيوية؟

(١) سورة النساء:١٠٥.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾[1]، ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ﴾[3].

أم هل التطبيق العملي الصحيح للإسلام هو الذي أدى إلى تحويل الدول الإسلامية إلى بؤر ينفجر منها الفساد والفوضى والأعمال الوحشية والقمعية؟ وهضم الحقوق وهتك الأعراض وإسالة الدماء الزكية؟ ثم تصديرها إلى خارج الدول الإسلامية؟ كلَّا والله.

إذاً هنالك أمراض ابتلينا بها، فما لم نعالجها ونخلص جسد الأمة من سرطانها فإنه لا يمكن أن نبحث عن الأمن والأمان، وعن التقدم والازدهار، وعن جمع الكلمة ووحدة الأمة، وبالتالي لا يمكن إن نقوم بإلقاء اللائمة على الآخرين.

وكلنا نعلم بأن توحيد الكلمة ووحدة الأمة وجني ثمارها لا يمكن إلا بالخضوع التام لما وصى به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أمته في الحديث الذي رواه الامام مالك، إذ يقول: ((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه)) [4].

أخواني وأخواتي في الله! إن ابتعادنا عن هذين المصدرين: الكتاب والسنة هو الذي جعل الأمة مبتلاة بعديد من الأمراض المستعصية، فما لم تعالج وتستأصل هذه الأمراض فلا يمكن توحيد الكلمة ولو قام ملايين الدعاة بالصرخات والدعوات المتتالية لهذه الأمة المبتلاة بتلك الأمراض، ولكثرتها سأذكر أمثلة منها:

(١) سورة الممتحنة:١.
(٢) سورة البقرة:١٢٠.
(٣) سورة آل عمران:١١٨.

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٩) بلاغاً.

(١) خضوع وموالاة رؤساء العالم الإسلامي لهيمنة القوتين في الشرق والغرب، وتبعيتهم لهما، وتقديم مصالحهم الشخصية أو الأسرية على مصالح المسلمين حتى صاروا بطانة لتلكم القوتين.

(٢) الشعوبية والعنصرية الجاهلية البغيضة في كثير من أفراد الأمة.

(٣) عدم تفقه - أكثر أفراد الأمة – في دين الله كما ينبغي أن يُتَفَقه.

(٤) اتخاذ أعداء الله وأعداء الأمة أولياء، مع أنه تعالى حذر المسلمين من هذا في آيات متعددة: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[1]، ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[2].

(٥) عدم الإخلاص في العمل لدين الله، وهذا فيمن يفقهونه.

(٦) جهالة العوام جهلاً مفرطاً بأحكام الدين الأمر الذي يمكّن بعض من يحسِبون أنفسهم مشايخ أو علماء من أن يسخّروهم لمآربهم باسم الدين.

(٧) تسخير بعض الطغاة الجبابرة طبقة العوام واستخدامهم حسب ما يريدون.

(٨) تولي عملاء الكفر على أحزاب تتظاهر بالعمل باسم الدين، والدين منها براء براءة الذئب من دم يوسف، كالدواعش وحزب اللات والحشد الشعبي وأمثالهم.

ابتعادنا عن هذين المصدرين: الكتاب والسنة هو الذي جعل الأمة مبتلاة بعديد من الأمراض المستعصية، فما لم تعالج وتستأصل هذه الأمراض فلا يمكن توحيد الكلمة ولو قام ملايين الدعاة بالصرخات والدعوات المتتالية لهذه الأمة.

(٩) خروج عشرات من الشبان من حين لآخر من الإسلام؛ جراء ما يجري في العالم الإسلامي باسم الدين، قائلين: إذا كان هذا هو الإسلام فلا حاجة لنا به ونحن منه براء.

فما لم تستأصل هذه الأمراض من الأمة فلن تتمكن من توحيد الكلمة ولا من وحدة الأمة ولا من التطبيق العملي لدين الله، وبالتالي لا تتمكن من جني ثمار هذا الدين الحنيف؛ حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[3].

(١) سورة الممتحنة:١.
(٢) سورة آل عمران:١١٨.
(٣) سورة الرعد:١١.

بيان حول نبش قبر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد ساءنا – في (رابطة علماء المسلمين) – خبر نبش قبر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وسرقة رفاته، والعبث بالقبور من حوله.

إن هذا العمل لينم عن مدى الحقد الذي انطوى عليه قلب الفاعل ومن أمره بذلك أو فرح به. إن الحاقدين على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في هذا الزمان، لا يحقدون عليه لأمر شخصي بينه وبينهم، وإنما يحقدون عليه لما يحمله من اعتقاد يمثل اعتقاد المسلمين عموماً وأهل السنة خصوصاً، ولكونه رمزاً إسلامياً يمثل العدل في حقبة تاريخية عظيمة من تاريخ المسلمين، ولما له من قرابة بأمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد بين حقيقة هذا الحقد فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة آل عمران:١١٨]، فأفعال هؤلاء الحاقدين على أهل السنة ورموزهم الإسلامية إنما هي جزء من حقدهم على الإسلام والمسلمين، وما تخفي صدورهم أكبر.

فهل يعتبر المسلمون اليوم بخطأ التعامل مع هؤلاء الباطنيين المجرمين بحجة العمل المشترك الداعم لقضايانا وهم كاذبون، وقد عاب الله سبحانه علينا محبتهم أو الثناء عليهم بعد بيان الآيات فقال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾ [سورة آل عمران:٩١١].

إن أصابع الاتهام في هذا العمل المشين تتجه إلى فئتين حاقدتين على المسلمين: الشيعة وتمثلهم دولة إيران، والنصيرية ويمثلهم النظام الدموي في دمشق، وقد اجتمعت الدولتان في حرب معلنة على أهل السنة في أرض الشام المباركة، ولا يخفى على أحد حجم المجازر التي قاموا بها ضد أهل السنة هناك. فمن وثق في هاتين الدولتين أو تعاون معهما، أو أثنى عليهما، فهو مخطئ غير معتبر بالآيات القرآنية، والآيات المرئية المشاهدة على أرض الشام وغيرها، ظالمٌ لنفسه، ولعموم المسلمين، مغترٌّ بكذب هذه الأنظمة السياسية.

إن الواجب على المسلمين أن يعرفوا عدوهم الحقيقي، ويتعاملوا معه وفق مراد الله في كتابه، وبيان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، وأن يعتبروا بما حدث في تاريخ المسلمين من هذه الفئات الضالة الحاقدة على أهل السنة والجماعة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥﴾ [سورة الأنعام:٥٥].

نسأل الله أن ينتقم ممن سعى في نبش قبر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، وأن يجعلهم عبرة للمعتبرين، وأن ينصر المسلمين في كل مكان. والحمد لله رب العالمين.

الهيئة العليا لرابطة علماء المسلمين

٨ شوال ١٤٤١هجرية

يوافقه ١٣/ ٥/ ٢٠٢٠م

بيان علماء المسلمين حول
إساءة شيعة لبنان
لأم المؤمنين عائشة
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن عائشة الصديقة بنت الصديق، زوجة رسولنا الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة، وأحب النساء إلى قلبه، نزل القرآن ببراءتها وفضلها، وأجمع علماء الإسلام على أن من طعن فيها بما برأها الله منه فهو كافر مكذب لما ذكره الله من براءتها في سورة النور.

ولقد آلم المسلمين وهالهم إساءة الشيعة في لبنان لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها. وهذه الإساءة ما هي إلا جزء من إساءاتهم الممنهجة لصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامة، ولأمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ خاصة، ولا يمكن التعامل معها باعتبارها مواقف عابرة أو فردية؛ بل هو منهج معتمد وراسخ لدى الشيعة ودولتهم إيران، ومن يدور في فلكها من أحزاب منحرفة وجماعات ضالة.

وإزاء هذه المواقف الحاقدة والإساءات البالغة إلى أمهات المؤمنين ورموز أهل الإسلام؛ فإن علماء المسلمين يؤكدون على الآتي:

(١) إن الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها هو طعن في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّ الله سبحانه قد قال: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النور:٦٢]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: ما كان الله ليجعل عائشة زوجةً لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وهي طيِّبة، لأنه أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له شرعاً ولا قدراً» [تفسير ابن كثير (٦/ ٥٣)].

(٢) إن في الطعن في زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيذاءً له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا شك أن إيذاءه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو كفر أكبر مخرج من الملة بإجماع المسلمين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الأحزاب:٥٧].

(٣) تدعو رابطة علماء المسلمين العلماء والخطباء والدعاة إلى ضرورة تخصيص مجموعة من الدروس والخطب للتعريف بفضل أمهات المؤمنين، خاصة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحكم من يتعرض لهن بسب أو طعن أو إساءة.

(٤) تؤكد الرابطة على أن ما أعلنته بعض الهيئات الشيعية من رفضها لهذه الإساءة؛ فإنه يبقى في إطار مبدأ التقية الشيعية التي تجيده وتتدين به هذه الطائفة، ما لم تتبعه بخطوات عملية وإجراءات تأديبية للمتطاولين.

وأخيراً؛ فإن الانتصار لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولأزواجه أمهات المؤمنين، هو من أوجب الواجبات، وأول حقوقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته، حكاماً ومحكومين، ومؤسسات وهيئات وعلماء.

ويستلزم ذلك تأديب وعقوبة من يفعل ذلك أشد العقوبة، ولردع أمثاله عن التجرؤ على ذلك.

ويتأكد ذلك في حق الهيئات والمؤسسات القضائية والحقوقية والمحامين، وكلِّ مؤمنٍ محبٍّ لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآهل بيته الأطهار، وصحبه الأبرار، أن يرفع دعوى قضائية على هؤلاء الطاعنين في عرض أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومن يدعمهم، لردعهم وليكونوا عبرة لغيرهم؛ كلٌّ بما يستطيع.

قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [سورة الأحزاب:٦].

نسأل الله أن ينصر من نصر دينه ودافع عن أوليائه، وعن عرض نبيه.

صادر عن

الهيئة العليا لرابطة علماء المسلمين

الثلاثاء ٧١ شوال ١٤٤١هـ

الموافق ٩/ ٦/ ٢٠٢٠م